جميـــل حمـــداوي

هـــل هنـــاك حـــرب عـــادلـــة ؟

المؤلف: جميل حمداوي

الكتاب: هل هناك حرب عادلة؟

الطبعة الأولى:٢٠١٦م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الإهـــــداء

أهدي هذا الكتاب إلى صديقي العزيز، و المفتش النبيل، والمبدع الروائي والشاعر والشذري المتميز، إنه الأستاذ عبد الإله حبيبي الذي استفدت منه الكثير والكثير في مجال الفلسفة والفكر الإسلامي.

يقول ستاندال (Sthendal):

" العقول الكبيرة، فقط، هي التي تكتب بأسلوب بسيط"

الفهـــــرس

الإهــداء

المقدمة.....٦

الفصل الأول:تعريف الحرب العادلة مفهوما وسياقا.....٩

المبحث الأول: مفهوم الحرب العادلة.....١٠

المبحث الثاني:مقومات الحرب العادلة.....١٦

المبحث الثالث: السياق التاريخي للحرب العادلة.....٢٣

الفصل الثاني: نظريات وتصورات حول الحرب العادلة.....٣٧

المبحث الأول: نظريات الحرب العادلة.....٣٨

المبحث الثاني: التصورات النظرية.....٤٣

الفصل الثالث: الحرب العادلة بين الإسلام والأنظمة الوضعية.....٧٦

المبحث الأول: الإسلام والحرب العادلة.....٧٧

المبحث الثاني الحروب المعاصرة بين القوة والحق.....٨٣

المبحث الثالث: هل توجد حروب عادلة وغير عادلة؟.....٨٧

الخاتمة.....٩٩

ثبت المصادر والمراجع.....١٠١

الفهـــرس

المقدمـــــة

يتنـاول هـذا الكتـاب المتواضـع الـذي بـين أيـديكم موضـوعا فلسـفيا ودينيـا ولاهوتيـا وسياسـيا، يتعلـق بمفهـوم الحـرب العادلـة، أو الحـرب الأخلاقيـة (La guerre juste ou morale)[1]، بـل أصـبح هـذا المفهـوم مصـطلحا سياسيا أساسيا في أدبيات العلاقات الدولية، و العلـوم السياسـية المعاصـرة، أو مبحثـا رئيسـا فـي علـم السياسـية الخـارجيـة، منـذ السـبعينيات مـن القـرن الماضي إلى يومنا هذا ، وخاصة بعد صدور كتاب(**الحروب العادلة وغير العادلـة**) للفيلسـوف الأمريكـي مايكـل وولـزر(Michael Walzer) سـنة ١٩٧٧م[2].

وبعد الحادث الإرهابي الذي تعرضـت لـه الولايـات المتحـدة الأمريكيـة فـي ١١سبتمبر٢٠٠١م، ظهر جدل كبير حـول الحـرب العادلـة، وأحقيـة الدولـة المتضـررة فـي مواجهـة الإرهـابيين والمتطـرفين، وتعقـبهم أينمـا حلـوا وارتحلوا، ومحاكمتهم قضائيا وجنائيا وعسكريا.

ولا يعنـي هـذا أن مفهـوم الحـرب العادلـة مفهـوم سياسـي معاصـر، بـل لـه جذور قديمة تعود إلـى مفكـري الفلسـفة واللاهـوت فـي العصـور الوسـطى، ولاسـيما المسـيحيين مـنهم، كالقـديس أوغيسـطينيوس(St. Augustin) وتوما الأكويني(Thomas D'Aquin) على سبيل المثال.

ومن ثم، يهتم هذا الكتـاب بتعريـف الحـرب العادلـة وغيـر العادلـة، ورصـد مقومـات هـذه الحـرب، واسـتجلاء مرتكزاتهـا النظريـة والتطبيقيـة، مـع

---

[1] -Monique Canto-Sperber, **L'idée de guerre juste**, Paris, Presses Universitaires de France, « Éthique et philosophie morale », 2010, 124 pages.

[2] - Pour l'édition française, voir Michael Walzer, **Guerres justes et injustes,** Paris, Belin, 1999.

الإشـارة إلـى السـياق التـاريخي لهـذه الحـرب العادلـة، وذكـر مختلـف التصورات النظرية المتعلقة بها. ثم، عرض مختلف دلالات هذه الحرب في الإسلام. دون أن ننسى موقع الحروب المعاصرة من نظرية الحروب العادلة.

وتأسيسا على ما سبق، تعد الحرب من المفاهيم الأكثر ترددا في الخطابات الفلسفية والسياسية والعسكرية والدينية والإعلامية... وغالبا، ما تحضر الحرب في مقابل السلام، والأمن، والحرية، والقانون، والعدالة، والحق. وإذا كانت الحرب مرتبطة بماهو عسكري، فإن السلام مرتبط بما هو مدني. ومن ثم، فالحرب أنواع عدة، فهناك الحرب العادية، والحرب الإرهابية، والحرب العادلة، والحرب الجهادية، والحرب المقدسة، والحرب الشريفة، والحرب الخادعة، والحرب الحكيمة، والحرب الباردة، والحرب الأهلية، والحرب الطائفية، والحرب الصليبية، والحرب الاستنزافية، وحرب الإبادة، والحرب الاستباقية، والحرب الثقافية، والحرب الحضارية، والحرب الإعلامية، والحرب الشاملة (نابليون بونابرت، وهتلر)، والحرب من أجل التدخل الإنساني...

ويمكن اختزال هذه الحروب كلها في نوعين كبيرين: الحروب العادلة وغير العادلة، أو ضمن ما يسمى أيضا بالحروب الدفاعية والحروب الهجومية.

وغالبا، ما كانت الحروب تشتعل بين الدول لدوافع سياسية، واقتصادية، ومجتمعية، وديمغرافية،ودينية، وثقافية، وحضارية، وعرقية، وإعلامية...

وفي الوقت نفسه، كانت هناك مؤسسات دولية حاضرة، من حين لآخر، هدفها نشر ثقافة السلام، و الحد من الحروب البينية، وكانت تنطلق من مقترب أخلاقي وإنساني وقانوني، كعصبة الأمم، والمنظمة الدولية للصليب الأحمر، والمحكمة الجنائية الدولية، ومحكمة العدل الدولية

بلاهاي، والمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين. إضافة إلى مواثيق جنيف، ومواثيق هيئة الأمم المتحدة،...

وقد أضحت الحروب العادلة، اليوم، موضوعا ثريا للجدال والمناقشة في مجال الصحافة، وموضوعا أكاديميا يدرس في الجامعات والمدارس العسكرية الأمريكية. وقد ارتبط هذا الموضوع بكثرة بظاهرتي الإرهاب والتطرف.

وثمة عدة مقاربات لتناول نظرية الحرب العادلة، منها: المقاربة الفلسفية، والمقاربة اللاهوتية، والمقاربة الدينية، والمقاربة القانونية، والمقاربة السياسية، والمقاربة التاريخية، والمقاربة الوصفية، والمقاربة التحليلية، والمقاربة التأويلية...بيد أنني اخترت المقاربة التاريخية للتعريف بالحرب العادلة وفق سياقيها: الزماني والمكاني، مع استعمال النقد التحليلي في الفصل الثالث.

إذاً، ماذا تعني الحرب العادلة؟ وما مقوماتها النظرية والتطبيقية؟ وما السياق التاريخي للحرب العادلة؟ وما أهم التصورات النظرية حول الحرب العادلة؟ وهل توجد حروب عادلة وغير عادلة؟ وهل يمكن الحديث عن حرب عادلة في الإسلام؟وما أوجه التشابه والاختلاف بين الإسلام والأنظمة الوضعية في تعاملها مع الحرب العادلة؟

هذا ما سوف نتعرف إليه في كتابنا هذا، على أساس أن الحرب العادلة هي الحرب الوحيدة المشروعة أخلاقيا وقانونيا من أجل إحقاق الحق، وإبطال الباطل.

وأرجو من الله عز وجل أن يلقى هذا الكتاب المتواضع رضا القراء، ويعود عليهم بالنفع والفائدة، داعيا لنفسي بالمغفرة والتوبة من أي تقصير، أو ادعاء، أو نسيان، أو خطإ، أو سهو.

الفصل الأول:

تعريف الحرب العادلة مفهوما وسياقا

المبحث الأول: مفهوم الحرب العادلة

يعد مصطلح الحرب العادلة، أو الحرب الأخلاقية (La Guerre /morale(La guerre juste / Just war ،) من أهم المصطلحات التي تتردد بكثرة في الكتابات الفلسفية والدينية واللاهوتية والسياسية، وخاصة ضمن ما يسمى بالعلاقات الدولية، أو ما يسمى أيضا بالعلوم السياسية، أو ما يطلق عليه كذلك علم السياسة الخارجية.

ويتكون المفهوم من حدين منطقيين أساسيين هما: حد الحرب، وحد العدالة. فالحرب عبارة عن فعل عدواني شنيع تمارسه دولة ضد دولة أخرى، سواء أكان الدافع إلى ذلك شرعيا أم غير شرعي. ومن هنا، فالحرب فعل عنيف يقوم على قوة العدد والعدة، إما من أجل الهيمنة والسيطرة والاستغلال، وإما من أجل الظفر بالسلام العادل.

أما كلمة (العادلة)، فتحيل على العدالة والشرعية و الفضيلة والمساواة ، أو التقيد بمجمل الأخلاق والقوانين والشرائع التي تنظم الحروب.وغالبا، ما تتأرجح العدالة بين المساواة والخير. ومن ثم، تشير كلمة العادلة إلى توازن القوى، والمثال الكوني، والإجراء المسطري المتعلق بالقانون.

وتعني الحرب العادلة البحث عن مجموعة من الأسباب العادلة والمشروعة لإعلان حرب ما لمواجهة الخصوم ومقاتلتهم دفاعا عن قضية عادلة، ومن أجل هدف مشروع يتمثل في صد العدوان، أو مواجهة الظلم والإرهاب والتطرف[٣].أي: إن الحرب العادلة هي إضفاء الطابع الديني والشرعي والأخلاقي على الحرب التي تخوضها دولة ضد دولة أخرى[٤]. وبتعبير آخر، إن الحرب العادلة هي قتال الأعداء وفق المشيئة الإلهية،

---

[3]- MARZANO M., **L'éthique appliquée**, Paris, PUF, Que sais-je ?, 2008, chapitre V : Droits de l'homme et guerre juste : p. 76 à 89.

[4] - Brian Orend, **The Morality of War**, Peterborough, Broadview Press, 200 6, p. 4.

فإذا أراد الله قتل الإنسان، يصبح ذلك فضيلة أخلاقية. ويعني هذا أن الحرب العادلة حرب أخلاقية وشرعية وعادلة، تكون بمقاتلة الأعداء الذين ارتكبوا مجازر دموية في حق الأبرياء، باسم الشر، والظلم، والكراهية، والحقد، والعدوان، والألم. ومن ثم، فالحرب هي رديفة الكراهية والتطرف والعنف والإرهاب والخراب. في حين، تتأسس الحرب العادلة على الإيمان، والسلام، والعقل، والأخلاق، والفضيلة، والتسامح، والتفاهم، والعفو، والتفاوض، وتقوى الله، وحب الإنسانية جمعاء.

ويعني هذا المصطلح أيضا عدم استخدام القوة بأي مبرر كان، أو السعي من أجل التقليل من أهميتها، أو استخدامها بشكل أخلاقي مقنن وشرعي، وهذا ما كانت تدعو إليه الكنيسة المسيحية في العصور الوسطى مع القديس أوغسطينيوس(St Augustine) وتوما الأكويني (Tomas d'Aquin) بالخصوص.

ومن هنا، فالحرب العادلة بمثابة عقاب للمذنبين والخاطئين المعتدين الذين مارسوا العدوان على الناس الآمنين. وبالتالي، فهي بمثابة إصلاح للظلم، وصد للعدوان الغاشم. ومن ثم، لا يمكن إعلان الحرب إلا بعد استنفاذ الحوار، واستعمال جميع طرائق التفاوض الدبلوماسي، والاستعانة بالمصلحين ورجال الخير والحكماء الدوليين من أجل تثبيت السلام، أو استشارة محاكم القضاء الدولية للتحكيم في قضية ما، سواء أكانت ترابية أم حدودية أم غير ذلك.

ويعرفها نصار عبد الله بقوله:"نظرية الحرب العادلة هي ذلك الإطار الذي يتضمن مجموعة من القيم والضوابط والمعايير التي تحدد في مجموعها ماهو عادل وماهو غير عادل بالنسبة للحرب سواء على مستوى شنها ابتداء، أو على مستوى إدارة عملياتها بعد اندلاعها فعلا. وعلى الرغم من أن نظرية الحرب العادلة تبدو للوهلة الأولى وكأنها تنتمي إلى ميدان فقه القانون الدولي إلا أنها في حقيقة الأمر أكثر انتماء إلى ميدان الفلسفة،وإلى

ميدان الفلسفة الخلقية بوجه خاص، بل إننا لا نتجاوز الحقيقة كثيرا إذا قلنا: إن أحكام القانون الدولي ذاتها- بافتقارها في غالب الأحوال إلى القوة التنفيذية التي تكفل تطبيقها بالقوة الجبرية- ماتزال إلى الآن وفي حالات كثيرة أقرب ما تكون إلى الأحكام الأخلاقية التي تحدد ما ينبغي أن يكون،وليس إلى القواعد القانونية الملزمة التي لا تكتفي توجيه المخاطبين بأحكامها إلى ما ينبغي من وجهة النظر القانونية، بل تتجاوز ذلك إلى إكراههم متى لزم الأمر على الامتثال لمضمون أحكامها.[٥]"

وعليه، يعرف مايكل وولزر (Michael Walzer) الحرب العادلة، في كتابه (**الحروب العادلة وغير العادلة**)، بقوله :" الحروب العادلة هي الحروب المحددة والمقننة والمتوافقة مع مجموعة من المعايير والضوابط التي تهدف إلى الحد من العنف أو الانتقام أو العدوان على الساكنة المدنية.[٦]"

ويعني هذا أن الحرب العادلة هي حرب خاضعة لمجموعة من القوانين الأخلاقية، والضوابط القانونية، والقيم الإنسانية الكونية، على أساس ألا تكون تلك الحرب المعلنة على الخصم من أجل العدوان، أو الانتقام، أو التشفي من المجتمع المدني.

ومن جهة أخرى، تعتبر الحرب العادية بمثابة عقاب أو سلطة تأديبية ، كما يقوم بذلك الشرطي أو القضاء أو السجان أو المجرم.

وهناك من لا يقبل مصطلح (**الحرب العادلة**) ككريستيان نادو (Christian Nadeau) وجولي سعادة (Julie Saada)؛ إذ ينكران أن

---

[٥] - نصار عبد الله: **مدخل إلى نظرية الحرب العادلة**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م، ص:٥.

[6] - Walzer M., **Guerres justes et injustes** - Argumentation morale avec exemples historiques, Paris, Belin, 1999. p. 13.

تكون هناك حرب عادلة أو غير عادلة، فهناك فقط ما يسمى بالحرب بكل ويلاتها ومآسيها الفظيعة[٧].

ويرى إيمانويل ليفيناس(Emmanuel Levinas) أن الحرب السياسية لا تعرف الأخلاق. وبالتالي، تتعارض السياسة كليا مع مبدإ الأخلاق، كما تتعارض الفلسفة مع السذاجة[٨].

وعليه، تكون الحرب عادلة وأخلاقية وشرعية، عندما تعلن دولة ما عن قرارها السياسي أو اللاهوتي أو الديني بخوض حرب ضروس وفق الإرادة الإلهية، أو وفق العناية الربانية. وتستلزم هذه الحرب الدفاع عن عدالة الله في الأرض، وتكون مبنية على الدفاع الشرعي العادل، بمقاتلة الغزاة الأعداء الذين يغيرون على البلد الآمن، بسفك دماء الأبرياء، وتخريب العمران، ونهب الثروات والممتلكات، وسبي النساء....

ومن ثم، ترتبط الحرب العادلة بما هو ديني ولاهوتي ومقدس، وتقوم على أسس أخلاقية. وبالتالي، لا تكون الحرب وفق رغبات الأفراد وأهوائهم وميولهم واتجاهاتهم ومنازعهم الشخصية، أو وفق مصالح جماعة معينة ومنافعها المادية، بل تقودها دولة ضد دولة أخرى باسم الشرعية الإلهية، وباسم القانون العادل، وباسم الحق الدولي المشروع. ولا تكون هذه الحرب أيضا عدوانية أو إرهابية أو انتقامية أو استباقية؛ لأن الأديان السماوية، بكل أنواعها، حرمت العدوان أو الهجوم الاستباقي.أي: لابد أن تكون حربا دفاعية عن العقيدة، والنفس، والعرض، والعقل، والمال؛ وليست حربا عدوانية مهلكة ومدمرة ومخربة. ولابد كذلك لهذه الحرب أن تتأسس على قوة الحق، وليس على حق القوة، وتعتمد أيضا على القوة الشرعية والأخلاقية والقانونية، وتستند إلى الأحقية في الدفاع الشرعي عن

---

[7] - Christian Nadeau et Julie Saada, ***Guerre juste, guerre injuste. Histoire, théories et critiques***, Paris, PUF, 2009, p. 19-20.

[8] - Emmanuel Levinas, ***Totalité et infini. Essai sur l'extériorité***, Paris, Le Livre de Poche, coll. « Biblio Essais », 2000 [1re éd. 1971], p. 5.

العقيدة والحياة الإنسانية ضد جميع أنظمة الجور والظلم والاستبداد، وفق العدالة الإلهية، والعناية الربانية[9].

وهناك من يرفض استعمال مصطلح الحرب العادلة لطابعها الفلسفي أو اللاهوتي أو الديني أو الميتافيزيقي، ويستخدم عوض ذلك مصطلح الحرب المشروعة (Guerre légale)، أو الحرب العادية (Guerre régulière)، أو الحرب القانونية، على أساس أن القانون الدولي لايتعامل مع الحروب من الزاوية الأخلاقية، أو من الزاوية الفلسفية والميتافيزيقية، بل يتعامل معها من خلال رؤية قانونية أو قضائية واقعية.

وعليه، تهدف نظرية الحرب العادلة إلى تخليق الحرب المعلنة(*jus ad bellum*)، والبحث عن مبررات شرعية لهذه الحرب، بالتركيز على الأسباب والأهداف والوسائل والطريقة التي ينبغي استعمالها في هذه الحرب ((*jus in bello*))، اعتمادا على ضوابط أخلاقية شرعية وقانونية عادلة. ومن ثم، فنظرية الحرب العادلة تنظر إلى العلاقات الدولية نظرة أخلاقية ومثالية ودينية، على أساس أن يكون السلم هو المحك الأول لهذه العلاقات، وإذا لم ينجح ذلك ينبغي أن تكون الحرب عادلة وخاضعة لمجموعة من الضوابط الأخلاقية والمعايير القانونية والشرعية الدولية .

ومن هنا، فالحرب العادلة هي تلك الحرب التي تقوم على أسس أخلاقية مشروعة وعادلة، وتدافع عن قضية عادلة، وبوسائل مشروعة، وتكون أهدافها نبيلة وعادلة، بالبحث عن السلام والتفاهم والتعايش، واللجوء إلى أساليب التفاوض ، مع احترام مقررات الأمم المتحدة، وعدم الاعتداء على المدنيين، وعدم المساس بالبنية التحتية والعمرانية للدولة، وإلا تعرضت

---

[9] -Walzer M., « Le — dangereux ? — triomphe de la « guerre juste » » (2002) in **:De la guerre et du terrorisme**, Paris, Bayard, 2004, trad. C. Fort, p. 19-44.

الدولة المعتدية إلى محاسبتها قضائيا في المحكمة الجنائية الدولية. ومن ثم، فالحرب العادلة هي التي تفصل بين المدنيين والعسكريين، وتمنع استخدام الأسلحة المحرمة دوليا، كالأسلحة النووية، وأسلحة الدمار الشامل. وبالتالي، لاينبغي أن تكون الحرب تحقيقا لمصالح الأشخاص والجماعات، بل تكون الدولة الشرعية هي المسؤولة عن خوض تلك الحرب للصالح العام.

ويتحدد مفهوم الحرب العادلة كذلك انطلاقا من الأسباب، والموضوع، والوسائل، والأهداف، والأطراف، وطبيعة الحرب، وما قبل الحرب، وأثناء الحرب، وما بعد الحرب.

وقد تكون الحرب عادلة من حيث السبب والهدف، ولكنها تكون غير عادلة من حيث الوسائل المستخدمة في ذلك، أو من حيث طبيعتها. وبذلك، تتحول الحرب العادلة إلى حرب غير عادلة.ويعني هذا أن الحرب العادلة هي مجموعة من القواعد الأخلاقية التي ينبغي اتباعها لخوض حرب ضد العدو قبل شنها، وفي أثناء خوضها، وبعد الانتهاء منها.ويعني هذا أن الحرب العادلة هي مجموعة من القواعد الأخلاقية التي ينبغي الالتزام بها لخوض حرب ضد العدو.

وعلى العموم، فالحرب العادلة هي التي يقرها القانون الدولي الذي يمنع استخدام القوة، ولا يسمح بالحرب إلا في حالتين: حالة الدفاع الشرعي لرد العدوان طبقا للمادة الواحدة والخمسين من ميثاق الأمم المتحدة، وحالة حق الشعوب المستعمرة في تقرير مصيرها. ومن هنا، اتخذ تعريف الحرب العادلة عدة مفاهيم، حسب المفهوم الديني والأخلاقي، وحسب المنظور القانوني، وحسب المنظور الواقعي، وحسب المنظور المثالي...

إذاً، فالحرب العادلة هي التي تتعلق بالمسؤولية الأخلاقية، أو هي التي تبحث في شرعية الحرب وعدالتها، قبل اندلاعها، وفي أثناء خوضها،

وبعد الانتهاء منها. أي: تبحث عن عدالة أسبابها وأهدافها وغاياتها، وعدالة إدارتها ووسائلها، وعدالة المفاوضات بعد الانتهاء من الحرب.

وهكذا، يتضح لنا أن الحرب العادلة مصطلح فلسفي أكثر مما هو قانوني، ويرتبط بالفلسفة السياسية أو بمبحث الأخلاق.وفي هذا، يقول عبد الله نصار:"إن نظرية الحرب العادلة هي نظرية فلسفية أكثر من كونها قانونية، والواقع أنها هكذا كانت منذ ظهرت إرهاصاتها الأولى في العقائد والفلسفات القديمة، وهكذا ظلت حين تزايد الاهتمام بها في أعقاب الحرب العالمية الثانية وما تلاها من حروب إقليمية،وهكذا سوف تبقى طالما بقيت الهوة قائمة بين الواقع والمثال."[١٠]

وإذا كانت الحرب العادلة بمثابة تصور مثالي وفلسفي وأخلاقي وسياسي، فما أهم مقوماتها ومرتكزاتها الأساسية؟

المبحث الثاني: مقومات الحرب العادلة

تستند الحرب العادلة إلى مجموعة من المقومات الضرورية[١١]، مثل: العدالة، والشرعية، والإيمان، والضمير، والأخلاق، والعقل، والحرية، وتقوى الله، وتمثل القوانين، واحترام سلطة الدولة، وشرعية القضية، وتخليق مسار الحرب من البداية حتى النهاية، والجنوح نحو السلم ...

ويمكن الحديث عن مجموعة من المبادئ الجوهرية التي يمكن حصرها فيما يلي:

❶ **سلطــة الأمير أو سلطة الدولة:** تكون الحرب العادلة عندما يترأسها سلطان أو أمير عادل من أجل الدفاع عن قضية عادلة.أي: يكون الأمير

---

[١٠] - عبد الله نصار: **مدخل إلى نظرية الحرب العادلة** ، ص:٨.

[11] -John Turner Johnson, **Morality and Contemporary Warfare**, New Haven, Yale University Press, 1999 p. 28.

مسؤولا عن فعله أمام المجتمع، وأمام الأخلاق، وأمام المنتظم الدولي. ومن ثم، لايمكن الحديث عن حرب عادلة يقودها أفراد أو جماعات معينة، فلابد أن يكون الحاكم هو الآمر بالحرب، مادام هو مسؤولا عن قيادة الدولة أو الأمة . ويعني هذا أن عنف الدولة ، كما قال ماكس فيبر(Max Weber) (١٩٢٠-١٨٦٤م) هو الوحيد المبرر شرعيا[١٢]. ويعني هذا أن الفرد ليس له الحق في ممارسة العنف مهما كانت قيمته الاجتماعية، ومكانته الوظيفية في المجتمع. فالدولة هي المؤسسة الوحيدة التي لها الحق في إعلان الحرب، وممارسة العنف والقوة باسم القانون والتشريع والدستور. ويكون العنف المبرر - هنا- بالسجن، أو المراقبة أو معاقبة المجرم، وإصدار اللوائح القانونية التي تجرم الفعل الإجرامي الذي قام به الفاعل الاجتماعي. وفي هذا السياق، يقول ماكس فيبر :" نعني بكلمة سياسة إدارة التجمع السياسي الذي نسميه اليوم " دولة"، أو التأثير الذي يمارس على هذه الإدارة.

ولكن ماهو التجمع السياسي من وجهة نظر عالم الاجتماع؟ وما الدولة؟ لايمكن تعريف الدولة بدورها من الناحية السوسيولوجية بمحتوى ما تقوم به، إذ لا توجد تقريبا أية مهمة لم يقم بها في يوم من الأيام تجمع سياسي ما؛ ومن جهة أخرى لاتوجد أيضا مهمات يمكن أن نقول عنها بأنها كانت في وقت ما تخص، على الأقل بصفة حصرية، التجمعات السياسية التي نسميها اليوم دولا أو التي شكلت تاريخيا أصول الدولة الحديثة.هذه الأخيرة لايمكن تعريفها سوسيولوجيا إلا بالوسيلة المميزة الخاصة بها، وأيضا بكل تجمع سياسي آخر، ألا وهو العنف الفيزيائي.قال تروتسكي يوما في بريست- ليتوفسك:" كل دولة تنبني على القوة".وهذا أكيد فعلا..إن العنف ليس بطبيعة الحال إلا الوسيلة الوحيدة للدولة، بدون شك،

---

12 - Max Weber, **Le Savant et le politique** (1919), préface de Raymond Aron et traduction par Julien Freund, Plon, 1959,p :111-113.

ولكنه وسيلتها الخاصة.وفي أيامنا هذه تعتبر العلاقة بين الدولة والعنف علاقة حميمة جدا.كانت التجمعات السياسية بمختلف أنواعها هذه تعتبر العنف الفيزيائي الوسيلة العادية للسلطة، وعلى العكس من ذلك يجب تصور الدولة المعاصرة كجماعة إنسانية في حدود مجال جغرافي محدد تطالب بنجاح ولمصلحتها الخاصة باحتكار العنف الفيزيائي المشروع.وما هو بالفعل خاص بعصرنا هو أنه لايسمح للتجمعات الأخرى أو للأفراد بالحق في اللجوء إلى العنف إلا عندما تسمح بذلك الدولة: إذ تصبح هذه الأخيرة المصدر الوحيد للحق في العنف."[١٣]

ولا يقتصر العنف على الدول الديكتاتورية والمستبدة فحسب، بل تمارسها الدولة الديمقراطية أيضا ، لكن في نطاق قانوني وشرعي ودستوري؛ إذ تخول الدولة لمؤسسة الأمن أن تتدخل لحماية مرافق التجمع السياسي؛

❷ **الهدف المشروع:** أن تكون الحرب العادلة مبنية على نوايا سليمة، ومقاصد شرعية، وأغراض ومصالح عامة، وألا ترتبط بمنافع أفراد وجماعات وشركات وأسر ، فتكون أغراضا مادية واقتصادية لاعلاقة لها بالمصلحة العامة، ولا تساير قوانين الدولة، ومعايير الأخلاق؛

❸ **السبب العادل:** تكون الحرب عادلة إذا كان سببها عادلا، كأن تكون الحرب دفاعا عن النفس أو الوطن أو الأمة أو الدين، أو دفاعا عن قضية عادلة، أو رفعا للظلم؛

❹ **التحقق من النصر الأكيد**: لايمكن خوض الحرب العادلة إلا إذا كانت ظروفها المناسبة تنبئ بالنصر والفوز والتمكين.بمعنى أنه لايمكن المغامرة والمجازفة بأرواح الناس في حرب خاسرة، وإن كانت حربا عادلة من أجل الدفاع عن النفس، أو من أجل حماية الحدود، أو من أجل صد العدوان؛

---

[13] -Max Weber:**Le savant et le politique**, Plon 10/18, 1979, pp:99-101.

❺ **التفاوض السلمي**: لايمكن اللجوء إلى الحرب حتى يستنفذ الطرفان المتحاربان جميع سبل التفاوض والتصالح، والارتكان إلى كل المساعي الحوارية الهادفة إلى تحقيق السلم والأمن والطمأنينة، وتجريب مختلف القنوات السلمية والدبلوماسية من أجل إيقاف الحرب بين الطرفين المتحاربين، باستعمال النصح والمشورة والتعاون؛

❻ **السلم قبل الحرب:** تنبني الحرب العادلة على إعطاء الأولوية للسلام قبل الحرب. ومن هنا، فقد حثت جميع الأديان السماوية على الجنوح نحو السلم، ولا تكون الحرب إلا دفاعا عن النفس، أو إصلاحا لظلم؛

❼ **الوسائل المشروعة:** لابد أن تستند الحرب العادلة إلى وسائل القتال المشروعة، بمنع تخريب المنشآت المدنية، وعدم قتل المدنيين، أو تسميم المياه، أو توظيف الأسلحة الفتاكة المحرمة خلقيا ودوليا. وألا تكون الحرب من أجل الإبادة والتطهير العرقي والعنصري والديني أو الطائفي؛

❽ **إدراك العواقب بشكل جيد قبل خوض الحرب:** لابد أن تدرك الأطراف المتحاربة، بشكل جيد، عواقب الحرب وشرورها، وتستشرف ما سيتفاقم عنها من نتائج وخيمة تؤدي إلى مزيد من الشرور والأحقاد والكراهية العدوانية.

وللتمثيل، فقد ولد العدوان الأميركي على كثير من الدول الإسلامية ما يسمى بظاهرة الإرهاب والتطرف والكراهية التي ماتزال تزعزع استقرار الولايات المتحدة الأمريكية إلى يومنا هذا، مثل: حادثة أورلاندو في ١٢يونيو ٢٠١٦م التي ذهب ضحيتها خمسون قتيلا، وجرح العشرات الآخرين. بل عرفت الولايات المتحدة ردود فعل إرهابية كثيرة داخلية وخارجية، منذ تاريخ نشأتها حتى الآن. وفي هذا ، يقول عبد الحكيم قماز:"وقعت الولايات المتحدة منذ نهايات القرن التاسع عشر الميلادي تحت موجة من الأعمال الإرهابية الخطيرة، طالت رؤساء الدولة وشخصيات على قدر كبير من الأهمية، كما طالت مؤسسات سيادية

أمريكية، وكان مرتكبو هذه الحوادث أمريكيين، كما شارك فيها يهود ينتمون إلى جماعات وميليشيات عنصرية متطرفة داخل الولايات المتحدة. وأثبتت إحصائيات مكتب التحقيق الفيدرالي "أف بي آي" وقوع ٣٢ هجومًا مسلحًا بين عامي ١٩٨٩ و١٩٩٣، استهدفت عددًا من المباني الحكومية. وقد ارتكب متطرفون أمريكيون ٢٨ هجومًا من هذه الهجمات ضدّ مؤسسات تربوية وتعليمية. ووفقًا لإحصائية أمنية فقد بلغت قيمة خسائر الولايات المتحدة من العمليات الإرهابية عام ١٩٩٣ وحده ٥٢٦,٤ مليون دولار، وسقط فيها ١٤٤٥ بين قتيل وجريح.

ومن بين ١٦٩ عمل إرهابي أحصته "أف بي آي" منذ عام ١٩٨٢م وحتى الربع الأول من عام ١٩٩٥، ثبت ارتكاب متطرفين يهود ١٦ هجومًا إرهابيًا استخدمت فيها الأسلحة النارية والمتفجرات الموقوتة، بينما نفذت عناصر عربية وشرقية ثلاث هجمات مسلحة، وارتكبت جماعات يمينية متطرفة ١٢٩ عمل إرهابي مقارنة بـ٢١ حادثًا ارتكبته جماعات يسارية. ويؤكّد تقرير صدر عام ١٩٩٨م عن مركز "ساوثرن بوفرتي لوسانتر" الأمريكي المستقل والمتخصص في مراقبة التحركات المعادية للسلطة، أن عدد المجموعات التي تحرّض على الحقد (النازية الجديدة، فروة الرأس، المدافعون عن تفوق العرق الأبيض، الهوية المسيحية..) ارتفع ما بين عامي ١٩٩٦ و١٩٩٧ بنسبة ٢٠% ليصل إلى ٥٠٠ مجموعة، تضاف إلى 850مجموعة أخرى، منها ٤٠٠ ميليشيا مسلحة منتشرة في أرجاء البلاد.

ويقول التقرير ذاته إن عدد التحقيقات التي أجراها جهاز الاستخبارات الفيدرالي خلال ثلاث سنوات من عمليات الإرهاب الداخلي ارتفع من ١٠٠ إلى أكثر من ٩٠٠ تحقيق. وانتقلت العمليات الإرهابية منذ فترة طويلة من الشّوارع إلى المدارس والمؤسسات التعليمية، حيث تفشّت ظاهرة إطلاق النار على المدرسين والمدرسات وعلى التلاميذ بشكل لافت لم يشهد له العالم مثيلاً. وأظهرت دراسة كشف عنها البيت الأبيض أنّ ١

من كلّ ١٠ مدارس رسمية أمريكية شهدت أعمال عنف خطيرة عام ١٩٩٧.

ومنذ اعتداءات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الدامية، عاشت الولايات المتحدة اعتداءات إرهابية قيل: إنّها من قبل منظمات إسلامية متشدّدة وحتّى أفراد متطرفين، وكانت ضربات قويّة في ظهر أمريكا، وأوقعت العديد من القتلى والجرحى. وتنوعت العمليات الإرهابية بين إطلاق نار في قاعدة عسكرية، ومهاجمة مأدبة غداء وحتى ماراتون رياضي[١٤] ."

ويعني هذا أن العنف يولد العنف والحقد والكراهية والانتقام.لذا، لاينبغي للحرب العادلة أن تتجاوز حدودها الشرعية نحو أغراض عدوانية انتقامية محضة؛

❾ **مأسسة الحرب العادلة:** بمعنى أن تكون الحرب الدائرة بين طرفين أو مجموعة من الأطراف خاضعة للقرارات الصادرة عن المؤسسات الدولية، كقرارات الأمم المتحدة(l'O.N.U.)- مثلا- ؛

❿ **تخليق الحرب:** ويعني هذا أن تكون الحرب خاضعة لمعايير الأخلاق، ونابعة من الضمير الإنساني والكوني، وبعيدة عن أخلاقيات المادة والقوة والطمع والجشع والابتزاز والحروب الاستباقية الظالمة.أي: تكون حربا يتحكم فيها الرب أو الإله الواحد، بدل أن تتحكم فيها المقولة الميكيافيلية:" الغاية تبرر الوسيلة"[١٥].

---

[١٤] - عبد الحكيم قماز: (من اغتيال لينكولن إلى مجزرة أورلاندو العنف لا ينتهي في بلد" العم سام")،**موقع الخبر**، بتاريخ:١٦يونيو ٢٠١٦م.
http://www.elkhabar.com/press/article/107426/#sthash.GlPOQYmh.dpuf.

[15] -Joseph Nye, **Nuclear Ethics**, New York, Free Press, 1986.

ويتضح لنا ، مما سبق ذكره، أن الحرب العادلة استثناء وضرورة مفروضة، وتكون آخر حل يلتجئ إليه الطرف المتضرر قبل الإقدام على الحرب، بعد مفاوضات حوارية ودبلوماسية وسلمية ماراطونية.

وتنبني الحرب العادلة أيضا - حسب مايكل وولزر (Michaël Walzer) على ثلاثة مقومات أساسية هي[١٦]:

❶تحديد الأسباب والدوافع والدواعي التي كانت سببا في اندلاع الحرب؛

❷ وصف سلوكيات المتحاربين في أثناء الحرب، وتبيان الوسائل المستخدمة في ذلك؛

❸ رصد مختلف المراحل التي قطعتها عمليات التفاوض من أجل تثبيت السلام العادل بين الأطراف المتدخلة في الحرب.

وتستوجب هذه المقومات الأساسية الثلاثة ألا تلتجئ الأطراف المشاركة في الحرب العادلة إلى الشطط في استعمال القوة أو العنف، أو الاستعانة بالوسائل المحرمة دوليا، أو استخدام الأسلحة المبيدة للإنسانية، أو تستغل بعض دول مجلس الأمن بالأمم المتحدة سلطتها التشريعية بفرض الفيتو بغير حق، أو بطريقة غير شرعية.

ومن الواجب على هذه الدول المتحاربة أن تجنح نحو الطرائق السلمية وقنوات الدبلوماسية لحل النزاعات بدل استعمال العنف العسكري. وألا تكون أيضا حربا في مواجهة المدنيين، وأن يكون الهدف من الحرب العادلة كذلك هو إحقاق الحق، وإبطال الباطل، والسعي نحو تكريس شريعة السلام والقانون.

---

[16] -Walzer M., **Guerres justes et injustes** - Argumentation morale avec exemples historiques, Paris, Belin, 1999.

المبحث الثالث: السياق التاريخي للحرب العادلة

كثيرا ما يربط الباحثون مصطلح الحرب العادلة، أو ما يسمى أيضا بالحرب الأخلاقية (La guerre juste / Just /La Guerre morale war)، بالمجال السياسي، أو بالعلوم السياسية[١٧]، بل هو مفهوم فلسفي وأخلاقي ولاهوتي محض، نشأ في بيئة دينية كنسية إنجيلية كاثوليكية منذ العصور الوسطى، مع مجموعة من رجال الدين واللاهوت المسيحي أو الكنسي. وبالتالي، لا ترتبط هذه الحرب بأفلاطون أو أرسطو أو شيشرون، كما يبدو ذلك جليا في بعض الكتابات التاريخية والتحليلية والفلسفية[١٨]. ويعني هذا أن الحرب العادلة نتاج الإنجيل والكتابات المسيحية الوسيطية ما بين القرنين الثالث عشر والسابع عشر الميلاديين.وبهذا، يمكن لنا أن نقدم فرشا تاريخيا للحرب العادلة في مختلف مساراتها التطورية[١٩] .

وهكذا، فقد كانت الديانة المسيحية سباقة إلى الإعلان عن مبدإ الحرب العادلة، عندما حرمت الحرب في الأيام والأعياد المقدسة. ورفضت أيضا استخدام الأسلحة غير الأخلاقية. ونظمت مجال القتال وفق المقترب

---

[17] - Brunstetter Daniel R., Holeindre Jean-Vincent, « La guerre juste au prisme de la théorie politique », ***Raisons politiques*** 1/2012 (n° 45), p. 5-18
URL : www.cairn.info/revue-raisons-politiques-2012-1-page-5.htm. DOI : 10.3917/rai.045.0005.

[18]-Bertrand Lemennicier :(LA NOTION DE GUERRE JUSTE), REVUE ET CORRIGÉE PAR LE LIBÉRALISME, **Le quebecoislibre**, Montréal, 12 avril 2003 / No 123.

http://www.quebecoislibre.org/030412-16.htm

[19] -Voir Michael Howard, George Andreopoulos et Mark Shulman, **The Laws of War: Constraints on Warfare in the Western World,** New Haven, Yale University Press, 1994.

الأخلاقي العادل، وفي ضوء تعاليم المسيح. وأكثر من هذا فقد كانت تدعو إلى السلام بقولها: "من ضربك على خدك الأيمن، فأدر له الأيسر"، و لأن كل الذين يأخذون السيف، بالسيف يهلكون"، و" لا تجاوزوا أحداً عن الشر بشر معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء، بل أعطوا مكاناً للغضب، لا يغلبنك الشر، بل اغلب الشر بالخير".

وهناك رواية أخرى لهذا القول اليسوعي في إنجيل متى ، وهو بهذه الصيغة : "سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا .وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا. وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ ".[٢٠]

ويعني هذا أن المسيحية، حسب هذا القول اليسوعي، ديانة السلام والمحبة والتسامح والعفو والتفاهم. وبهذا، تكون ديانة السلام بامتياز، تنبذ الحرب والقتل والعدوان، وتذم العدوان والكراهية والحقد البشري، وإن كانت هذه العقيدة قد أصابها تحريف وتشويه وتزييف[٢١]، وباسمها ارتكبت مجازر ومشانق وحروب أودت بالكثير من الأبرياء، والدليل على ذلك ما ارتكبته الإمبراطورية الرومانسية المسيحية من ويلات وخيمة في حق الأمازيغ بشمال أفريقيا، وما قامت به الحروب الصليبية من مجازر في حق المسلمين والمقدسيين بالمشرق العربي.

وبعد ذلك، ظهر مصطلح الحرب العادلة (Bellum Justum) عند مجموعة من اللاهوتيين المسيحيين ، منذ القرن الخامس الميلادي، مع كل

---

[٢٠] - إنجيل متى، طبع دار السلام سنة ١٩٦١م، الاصحاح ٥ : ٣٩.

[٢١] - قال الله تعالى: " أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦)"، سورة البقرة، الآيتان:٧٥و٧٦ القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.

من: القديس أمبروز الميلاني[٢٢] (Ambroise) (٣٩٧-٣٤٠م)[٢٣]، والأسقف جان جراسيان[٢٤](Gratian) (٣٥٩-٣٨٣م) [٢٥]، والقديس أوغيسطينيوس (Saint Augustin) (٤٣٠-٣٥٤م) في كتابه (**مدينة الله**)[٢٦]، وفرنسوا الأسيزي(François d'Assise) (١١٨١/-١١٨٢ ١٢٢٦م)، والقديس توما الأكويني(Thomas d'Aquin)(١٢٢٤/١٢٧٤-١٢٢٥م) في كتابه (**الخلاصة اللاهوتية**)[٢٧]. بالإضافة إلى اللاهوتي فرنسيسكو دي فيتوريا(Francisco de Vitoria)(١٤٨٣/١٥٤٦-١٤٨٦م)[٢٨]، وجان بودان (Jean Bodin) (١٥٣٠-١٥٩٦م)[٢٩]، وفرانسيسكو دي سواريز (Francisco

---

22- Ambroise de Milan: **De officiis ministrorum**, en 3 livres, ouvrage d'éthique chrétienne (allusion au *De officiis* de Cicéron), qui aura une grande influence .

23 -John Howard YODER, *When War is Unjust : Being Honest in Just-War Thinking*, Minneapolis, Augsburg Publishing House, 1984, 1995 (2e éd. revue), p. 1 (traduction libre)

24 -R. Metz, « Regard critique sur la personne de Gratien, auteur du *Décret* (1130–1140), d'après les résultats des dernières recherches », **Revue des sciences religieuses**, LVIII (1984), p. 64–76 .

25 -GRATIEN, *Decretum*, C. 23, II, *iii*, Le *Décret* de Gratien.

٢٦ - القديس أوغسطين: **مدينة الله**، المجلد الأول، ترجمة: الخورأسقف يوحنا الحلو،سلسلة التراث الروحي، دار المشرق، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م.

27 - St. Thomas D'Aquin : **Somme théologique** (Secunda secundæ : la morale particulière, Question 40 : la guerre).

28 -Francisco de Vitoria : **De Jure belli Hispanorum in barbaros**, 1532.

29 - Jean Bodin**: Les Six Livres de la République** (en 6 livres, Paris, 1576, réédité dès 1577 et à nouveau en 1579), qu'il traduisit lui-même en latin en 1586 : il y traite son sujet assez complètement, et se prononce pour une monarchie tempérée. On a quelquefois, mais avec exagération, comparé cet ouvrage à l'*Esprit des lois* de Montesquieu. Cette comparaison montre à quel point le livre peut être fondateur dans son domaine : **le droit constitutionnel**. Il existe un « abrégé du

Suarez)(١٦١٧-١٥٤٨م)، وهيجو كروسيوس(Hugo Grotius)(١٥٨٣-١٦٤٥م)[٣٠]، وصامويل فون بوفيندورف(Pufendorf)(١٦٣٢-١٦٩٤م)[٣١]، وإمير فاتيل[٣٢] (Emer de Vattel)(١٧١٤-١٧٦٧م)[٣٣]، وكنائس السلام (Peace Churches)...

وإذا كان هناك من الباحثين من يعتبر سانت أوغستان أول من كتب عن الحرب العادلة، فإن جون هوارد يودر(John Howard Yoder) يرى أن القديس أمبروز (Ambroise) كان سباقا إلى ذلك منذ القرن الرابع الميلادي. في حين، لم يظهر القديس أوغستان إلا في القرن الخامس الميلادي(٤٣٠م).

بيد أن هناك إشارات إلى الحرب العادلة في الفلسفة اليونانية والكتابات اللاتينية القديمة، كما نجد ذلك عند المؤرخ اليوناني ثوسيديد(Thucydide) في (محاورة ميلان) الذي تحدث فيها عن الحرب من منظور الواقعية القديمة، على أساس أن الحرب ضرورة عسكرية، كما تبين ذلك بجلاء إبان الحروب البيلوبونيزية بين أثينا وإسبرطة. ويرى ثوسيديد أن الحرب على مدينة ميلان الإسبرطية ضرورة عسكرية قصوى للحفاظ على إمبراطورية أثينا، فكان من الضروري واللازم ضرب هذه المدينة من أجل إثبات الذات. لكن هذا

---

texte de l'édition de Paris de 1583, édition et présentation de Gérard Mairet ».

[30] -Hugo Grotius, **Le droit de la guerre et de la paix**, Paris, puf, 2005.

[31] -Samuel von Pufendorf : **Le Droit de la nature et des gens**, *ou Système général des principes les plus importans de la morale, de la jurisprudence et de la politique* (2 volumes, 1706).

[32] -Emmanuelle Jouannet, **Emer de Vattel et l'émergence du droit international classique,** Pedone, 490 p, 1998.

[33] -Emer de Vattel **:Le Droit des gens : Principes de la loi naturelle, appliqués à la conduite et aux affaires des Nations et des Souverain**s, vol. 1, Londres [Neuchâtel], 1758, 241 p.

المفهوم الخاطئ للحرب يتنافى مع الحرب العادلة أو الحرب الأخلاقية، فهل يمكن تخريب المدينة من أجل المحافظة على الذات؟

ومن جهة أخرى، كان ثوسيديد يتنبأ بسقوط أثينا، إذا لم تسرع إلى ضرب ميلان ودكها.ويبدو أن هذه الحجة غير منطقية وغير أخلاقية قائمة على الافتراض والاحتمال والإمكان، وليس على قاعدة واقعية تجريبية حقيقية.

وقد أشار أفلاطون، في كتابه (**الجمهورية**)، إلى الحرب العادلة من خلال التمييز بين الحرب والنزاع المحلي. فالحرب هو نزاع بين دولتين أو شعبين. أما النزاع المحلي، فهو بمثابة حرب أهلية، أو انشقاق داخلي، أو فتنة داخلية بين أفراد الشعب أو مواطني بلد واحد. ومن هنا، يعلن أفلاطون رفضه للحرب إلا لضرورة قصوى، يكون الهدف منها هو تحقيق الوفاق أو السلام العادل. وبالتالي، يرفض الحرب الطويلة الأمد التي تأتي على الأخضر واليابس.ومن هنا، تتخذ رؤية أفلاطون إلى الحرب طابعا إنسانيا وأخلاقيا عادلا. ومن ثم، فالحرب العادلة هي التي تحتكم إلى السلوك القويم في التعامل مع الأبرياء من الناس المدنيين، ولا تسعى إلى الخراب والدمار والهلاك الشامل. وهذا السلوك لاينبغي أن يقتصر على اليونانيين فقط، بل ينبغي تعميمه حتى على الأجانب في حالة الحرب، بمعاملتهم وفق معاملة اليونانيين لبعضهم البعض. ومن هنا، فالحرب العادلة عند أفلاطون هي استثناء أخلاقي ، وحرب للضرورة القصوى. وفي هذا، يقول:" فإن قاتل اليونانيون البرابرة، أو البرابرة اليونانيين، فعندئذ نقول: إن بين الفريقين حربا، وأنهما بطبيعتهما أعداء، وأن هذه العداوة تستحق اسم الحرب. أما إذا قاتل اليونانيون بعضهم بعضا، فنقل: إن القرابة بين الفريقين لم تنعدم، ولكن اليونان في هذه الحالة تبدو مصابة بداء الانشقاق على نفسها بحيث يكون اسم النزاع المحلي هذا هو ما ينطبق على هذه العداوة.

فحيثما يشب نزاع وتنقسم الدولة ، ويعمد أحد الفريقين إلى تخريب حقول الفريق الآخر، وهدم بيوته ، عندئذ تستطيع أن تتصور إلى أي حد يكون ذلك أمرا مرذولا.فليس ثمة جماعة محبة لوطنها تجرؤ على تمزيق الأرض التي هي أمها ومصدر غذائها، وإنما المعقول أن يكتفي الغزاة

بالاستيلاء على محصول المهزومين، وعليهم أن يذكروا أنهم سيصلون يوما إلى وفاق، ولن يظلوا في حرب دائمة.

-الحق أن هذه الطريقة في التفكير أقرب إلى الإنسانية من سابقتها...

- ولما كانوا يونانيين، فهم لن يخربوا بلاد اليونان، ولن يحرقوا بيوتها، ولن ينظروا بعين العداوة إلى جميع سكان دولة ما، رجالا ونساء وأطفالا، وإنما يعادون مصدر الشقاق وحده، وهو عادة ضئيل من الناس، وعلى ذلك، فهم لايرضون بأن يخربوا أرضا أو يهدموا بيوتا معظم سكانها أصدقاء لهم، هم لايمضون في عدوانهم إلى أبعد الدولة الذي يطر فيه المذنبون، تحت ضغط الأبريا ء المعذبين، إلى أن يسلكوا سلوكا قويما.

فقال: إني لأسلم معك بأن سلوك مواطنينا نحو خصومهم يجب أن يسير على هذا النحو، وبأن عليهم أن يعاملوا الأجانب كما يعامل اليونانيون الآن بعضهم بعضا.

- فليكن من القوانين -إذاً- أن يخرب حراسنا الأرض، ولا يحرقوا البيوت.

- لنسن هذا القانون، ولنعترف بأنه قانون عادل كالباقين."[٣٤]

ويعني هذا أن أفلاطون، في كتابه (**الجمهورية**)، كان يدعو اليونانيين، في مقاتلتهم للبربر، إلى أن تكون حربهم عادلة وأخلاقية، وألا تكون عنيفة وقاسية[٣٥].

أما أرسطو ، فقد أشار ، في كتابه (**السياسة**)[٣٦]، إلى أن السلطة الشرعية العمومية هي التي تقرر في أمور الحرب والسلام في المجتمع اليوناني،

---

[٣٤] - أفلاطون: **جمهورية أفلاطون**، ترجمة: فؤاد زكريا، فضاء الفن والثقافة، د.ت، صص:١٨٠-١٨٢.

[35] -Frank BOURGEOIS : (La théorie de la guerre juste : un héritage chrétien ?), **ETUDES THÉOLOGIQUES & RELIGIEUSES** TOME 81 2006/4.http://www.protestants.org/?id=33141

بقوله:"الجمعية العمومية تقرر على وجه السيادة السلام والحرب، وعقد المعاهدات وحلها، وتصدر القوانين، وتصدر حكم الإعدام والنفي والمصادرة وتنظر في محاسبة الحكام."[٣٧]

وبعد ذلك، فقد أثبت أرسطو أن الحرب تكون من أجل تحصيل الغنائم والطرائد، وتحقيق الخيرات والمنافع. ويعني هذا أن أرسطو ينظر إلى الحرب نظرة واقعية مادية وبرجماتية.على عكس أفلاطون الذي كان ينظر إليها من وجهة قانونية وأخلاقية إلى حد ما .ومن هنا، تشبه الحرب عند أرسطو عملية الصيد، والحصول على الغنيمة أو الطريدة، وإخضاع البشر لسلطة القوي أو الغالب أو السيد، على أساس أن الآخرين خلقوا للعبودية والاسترقاق والخضوع للأسياد الأقوياء. وفي هذا، يقول أرسطو:" لذلك، فإن فن الحرب قد يكون بالطبع من بعض وجوهه فن اقتناء واغتنام؛ لأن فن الصيد جزء منه.والصيد يجب استعماله لأخذ الأوابد، وقمع من لايريدون الخضوع من البشر مع كونهم أوجدوا لأجله، على اعتبار أن تلك الحرب عادلة بالطبع."[٣٨]

ومن جهة أخرى، فقد تناول شيشرون(Cicéron)(٤٣-١٠٦ق.م) الحرب العادلة ، منذ القرن الثاني قبل الميلاد، في كتابه (**DE OFFICIIS**)، وأثبت أنها تقوم على مبدأين رئيسيين هما: العدالة والاعتدال.قد عرف شيشرون بقولته المشهورة:" القوانين تلتزم الصمت في أيام الحرب/ *Inter arma enim silent leges*".

وفي القرن السابع عشر الميلادي، يذهب توماس هوبرز (**Thomas Hobbes**)(١٥٨٨-١٩٧٩م) في كتابه (**التنين/Léviathan**) ، إلى أن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان. ويعني هذا أن الحياة الطبيعية قائمة على

---

[36] -Aristote, **Politiques**, VII, 14, Paris, Flammarion, 1990, coll. "GF", p. 497. En I, 8, 1256 b 25, l'expression de "guerre juste" est employée. Voir aussi VII, 2 et 3.

[٣٧] - أرسطو: **السياسة**، ترجمة: أحمد لطفي السيد، مختارات الإذاعة والتلفزيون، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ص:٣٤٨.

[٣٨] - أرسطو: **السياسيات**، ترجمة: الأب أوغيسطينس بربارة البولسي، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية (الأونَسكو)، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٧م، ص:٢٤.

الصراع والحرب والقتل. ومن هنا، يتحدث هوبز عن الحرب الطبيعية التي يربطها بالطبيعة.في حين، ترتبط الدولة بالسلام والأمن والاستقرار.وإذا تتبعنا تاريخ الإنسانية - حسب توماس هوبز- فهو تاريخ مأساوي غريزي يتأرجح بين الحرب والسلام. وفي هذا، يقول:" إن حق الطبيعة، والذي يسميه كتاب السياسية عادة "عدالة الطبيعة"، هو الحرية التي تكون لكل واحد في أن يستخدم قوته الخاصة ليحافظ على طبيعته، أو بعبارة أخرى، ليحفظ حياته. إن حق الطبيعة هو الحق في استخدام القوة التي تكون للفرد ليفعل كل ما يعتبره حُكْمُهُ وعقلهُ الخاصَّين أحسن وسيلة لتحقيق غاية الحفاظ على ذاته. ونقصد بالحرية، طبقا لمعناها الخاص، غياب الموانع الخارجية التي من شأنها، في العادة، الحد من قدرة المرء على فعل ما يريده، من دون أن تستطيع منعه من استخدام ما تبقى له من قوة حسب ما يمليه عليه حكمه وعقله.

أما قانون الطبيعة، الحق الطبيعي، فهو مبدأ أو قاعدة عامة اكتشفها العقل، ويمنع بمقتضاها كل واحد نفسه من فعل كل ما من شأنه أن يقضي على حياته، أو يحرمه من وسيلة الحفاظ عليها، أو يجعله يهمل كل ما قد يحافظ عليه. والواقع أن الذين يعالجون هذا الموضوع عادة ما يخلطون بين الحق الطبيعي والقانون الطبيعي، في حين يجب التمييز بينهما.فالحق يقوم على الحرية في فعل شيء ما أو الامتناع عنه، أما القانون فيلزمنا بالقيام بالفعل أو الامتناع عنه.يختلف - إذاً- القانون عن الحق اختلاف الإلزام عن الحرية، ويتناقضان فيما بينهما إذا ما طبقا على الموضوع نفسه.ولأن حالة الإنسان ، كما بينت (...) هي حالة حرب الكل ضد الكل، وحيث يكون كل واحد يقوده عقله الخاص؛ ولأنه لا يوجد شيء لا يمكن للإنسان استخدامه ضد الأعداء، للحفاظ على الحياة، فإن ذلك يعني أن لكل فرد، في هذه الحالة، الحق في كل شيء،ولهذا السبب لا يمكن لأي كان، مهما بلغت حكمته أو قوته، أن يضمن لنفسه البقاء حيا حتى النهاية الطبيعية لحياة الإنسان، (...)لهذا يتفرع عن قانون الطبيعة ، والذي يُطلب بمقتضاه من الناس أن يحفظوا حياتهم أن يبحثوا عن السلم،بواسطة قانون ثان يقضي بأن نقبل، عندما يقبل الآخرون أيضا، التخلي عن حق التصرف في كل شيء، بما يسمح بضمان السلم والحفاظ على الذات؛ وأن نكتفي بالقدر

نفسه من الحرية الذي يكتفي به الآخرون. وبقدر ما يحافظ كل واحد منا على حق القيام بما يريد بقدر ما نكون في حالة حرب.[٣٩]"

ويلح، هوبز ، ضمن مقتربه الواقعي، على ضرورة الانتقال من حالة الطبيعة إلى حالة الدولة، بالتنازل عن كل الحقوق الطبيعية لحاكم مطلق أو مستبد، فالمهم هو تحقيق الأمن والاستقرار والسلام. ويعني هذا أن حالة الطبيعة حالة سلبية على جميع الأصعدة والمستويات، تتسم بالجور والظلم وغياب العدالة، وحرب الكل ضد الكل، وغياب الأخلاق، فالقوي يأكل الضعيف، كما تأكل السمكة الكبيرة السمكة الصغيرة. إنه قانون الغاب، أو قانون الفوضى، أو قانون الحرب الشاملة، أو قانون القوة. لذا، فالحل الوحيد للخروج من هذه الحالة السلبية هو الانتظام في الدولة القوية، بالتنازل عن كل الحريات التي كان ينعم بها الفرد لحاكم مطلق، يدير شؤون البلاد بانضباط وصرامة وقوة وهيبة بغية حماية المواطنين، وتوفير السلم والأمن والاستقرار.

أما نيكولاي ميكيافيلي(Machiavel)(١٥٢٧-١٤٦٩م)، في كتابه (**الأمير**)، فقد تحدث عن الحرب العادلة على أنها ضرورة ليس إلا. وكان ينطلق من تصور واقعي برجماتي قائم على القوة والمنفعة. وفي هذا، يقول ميكيافيلي:" كل واحد منا يعرف مدى الثناء الذي يناله أمير يحفظ عهده، ويحيا حياة الاستقامة دون مكر وخداع.غير أن تجارب عصرنا هذا تدل على أن أولئك الأمراء أصبحوا عظماء لأنهم لم يصونوا العهد إلا قليلا، وأنهم استطاعوا أن يؤثروا في عقول الناس بالمكر والخداع، كما تغلبوا في النهاية على أولئك الذين جعلوا من الأمانة أساسا لأعمالهم.

يجب أن تعلم أيها الأمير - إذاً- أن هناك طريقين للقتال: الطريقة الأولى تعتمد القوانين، والثانية تعتمد القوة؛ الطريقة الأولى خاصة بالبشر، أما الثانية، فهي خاصة بالحيوانات المتوحشة. ولما كانت الأولى غير كافية، في الغالب، فيجب استخدام الثانية.لهذا فمن الضروري للأمير أن يعرف جيدا كيف يستخدم الطريقتين(...)

---

[39] - Thomas Hobbes, **Léviathan**, Gallimard, coll. Folio Essais, 2001, pp : 229-233.

على الأمير أن يعلم جيدا كيف يتصرف كالحيوان، عليه أن يقلد الثعلب والأسد في الآن نفسه، فالأسد لايستطيع حماية نفسه من شباك الفخاخ، والثعلب غير قادر على مواجهة الذئاب.على الأمير أن يكون ثعلبا لمعرفة شبكة الفخاخ، ويكون أيضا أسدا ليخيف الذئاب.فذلك الذي يريد أن يكون أسدا فقط لايفهم شيئا.ينبغي على الأمير - إذاً- أن يكون رجلا حكيما عندما لايحفظ عهدا يكون في الوفاء به ضياع مصلحته، وألا يستمر في الوفاء بوعد انتهت أسباب الارتباط به. قد يكون هذا مبدأ شريرا ، لكن هذا يصدق في حالة ما إذا كان جميع الناس من الأخيار، لكن ما دام جميعهم من الأشرار، ولن يرعوا عهودهم معك، فلابد أن تكون في حل من عهودهم(...) إن الذين استطاعوا تقليد الثعلب بمهارة حققوا نجاحا كبيرا، لكن لابد لك أن تكون قادرا على إخفاء هذه الصفة بمهارة، وتستطيع التمويه والخداع.إن الناس بسطاء، وهم على استعداد لقبول ضرورات الحاضر. إن من يمارس الخداع سيجد دائما بين الناس من يقبل أن ينخدع بسهولة."[٤٠]

وهكذا، يميز ميكيافيلي بين لغة القوانين ولغة القوة، فاللغة الأولى لاتجدي واقعيا. في حين، تعد اللغة الثانية أساس السيادة الحقيقية، وأساس الحفاظ على الحكم إلى أمد طويل. ومن هنا، يرفض ميكيافيلي أن تبنى الحرب على أسس أخلاقية أو شرعية أو قانونية، بل لابد من ممارسة القوة مع المعتدين والمتآمرين.

في حين، يرى هيجل(Hegel) (١٨٣١-١٧٧٠م) أن الحرب ليست شرا مطلقا.وبالتالي، فلها بعد أخلاقي من جهة، وهي ضرورة واقعية من جهة أخرى. وهي ضرورية بالنسبة للصحة الأخلاقية للبشر. ومن ثم، فهي مرتبطة بالدولة والعناية الإلهية. وبالتالي، فالحرب هي مبتغى الأقوياء[٤١].

---

[40]-Nicolas Machiavel : **Le Prince,** traduction française de J. Gohory, Collection Folio, Gallimard, Paris, 1980, p : 123-125.

[41] - Hegel : **Principes de la philosophie du droit,** trad. André Kaan, Gallimard, 1940, p : 324.

بينما يرى نيتشه (Friedrich Wilhelm Nietzsche) (١٨٤٤-١٩٠٠م)، في كتابه(**هكذا تكلم زرادشت**) أن الأخذ بالسلام هو الطريق الصحيح لإشعال الحروب. وبتعبير آخر، لا يمكن حماية السلام إلا بإعلان الحرب، أو بعد السلام تعلن الحرب.ومن ثم، يرى نيتشه أن الحرب عبارة عن فضيلة وشجاعة تعبر عن منطق الإرادة والقوة لدى الأسياد والمحاربين من أجل إخضاع المنهزمين من العبيد والضعفاء. ويعني هذا أن الحرب من أجل الحرب. وبالتالي، ينطلق نيتشه من تصور طبيعي قائم على فلسفة القوة والإرادة . أما فيما يتعلق بالقوانين والأخلاق، فذلك يحيل على منطق الضعفاء والعبيد.وبهذا المنطق، يخالف تصور كانط ذي البعد الأخلاقي والإنساني والكوني[٤٢].

وقد تحدث هانز مورغانتاو (Hans Morgenthau (١٩٨٠-١٩٠٤م)، في كتابه (**السياسات بين الأمم**) [٤٣] ، عن رؤية واقعية في التعامل مع العلاقات الدولية، أو التعامل مع الحروب، على أساس أن أفضل الأخلاق لإدارة الحروب هي فرض هيبة الدولة، وفرض قوتها، وتحقيق مصالحها القومية، وخدمة منافعها المادية والمعنوية. أما الأخلاق العادلة، فلا وجود لها في مجال السياسة والعلاقات الدولية. فالمنفعة أولا، والصداقة ثانيا.

هذا، وقد امتد مفهوم الحرب العادلة إلى كتابات المفكرين والباحثين والدارسين المعاصرين في تخصصات عدة، بعد ازدياد الحروب في القرن العشرين، واندلاع الحروب الواقعية والإيديولوجية والعدوانية في الفيتنام، وكوبا، وكوريا، وأفغانستان،والعراق،وفلسطين...، والتهديد بالسلاح النووي المرعب، وبشتى الأسلحة الفتاكة التي تسمى بأسلحة الدمار الشامل. ومن هؤلاء الباحثين: مايكل وولزر (Michaël Walzer)(١٩٣٥-؟) في كتابه (**الحروب العادلة وغير العادلة**)[٤٤]،

---

42 -Friedrich Wilhelm Nietzsche :**Ainsi parla Zarathustra** (fragments), de W. P. (nom inconnu), in *La société nouvelle*, année 8, Paris, Bruxelles, 1892, T. 1, p. 390-401.

43 - Hans Morgenthau, **Politics Among Nations**, New York, McGraw-Hill, 1993, p. 3-16.

44 - Michaël Walzer, **Guerres justes et injustes,** Belin, 1999.

ونيكولاس أوفينشتات(Nicolas Offenstadt)(١٩٦٧م-؟) في مقاله (**الحروب العادلة واستعمالاتها في الماضي**)[٤٥]، وبيير هاسنار(Pierre Hassner)(١٩٣٣م-؟) في كتابه(**تخليق الحرب**)[٤٦]، وبيتر هايين ماخر(Peter Haggenmacher) في كتابه (**كروسيوس أو الحرب العادلة**)[٤٧]، وإيف روكوت(Yves Roucaute)[٤٨] (١٩٥٣م-؟) في كتبه (**نحو سلام الحضارات**)، و(**قوة الحرية**)، و(**قوة الإنسانية**)؛ وديفيد فيشر (Davis Fisher) في كتابه (**الأخلاقيات والحرب**)[٤٩] . دون أن ننسى الأصوات السياسية العالمية الأخرى التي كانت تدافع عن الحرب العادلة، مثل: غاندي(Ghandi)(١٩٤٨-١٨٦٩م)، وعبد الغفار خان أو باشا خان (Badsha Khan)(١٩٨٨-١٨٩٠م)، وبيرنار كوشنر(Bernard Kouchner)(١٩٣٩م-؟)، وكوندوليزا رايس (Condoleezza Rice)(١٩٥٤م-؟)[٥٠] ...

أما فيما يخص الكتابات العربية التي تناولت الحرب العادلة، فيمكن الإشارة إلى الفلاسفة المسلمين القدامى، وخاصة الفارابي في كتابه (**تحصيل السعادة**)[٥١] ، وابن رشد[٥٢] في كتابه (**الضروري في السياسة**)

---

45 - Nicolas Offenstadt, « Guerres justes et usages du passé », **Cahiers de la Villa Gillet,** « Penser la guerre aujourd'hui », nº 16, 2002, p. 121-130

46 - Pierre Hassner, **Justifier la guerre**, Presses de Sciences Po, 2005.

47 - Peter HAGGENMACHER, ***Grotius et la doctrine de la guerre juste***, PUF, 1983.

48 - Yves Roucaute, **La Puissance de la Liberté**, P.U.F., 2004 **; *Vers la Paix des Civilisations***, Alban, 2008 ; **La Puissance d'Humanité**, François-Xavier de Guibert, 2011, Contemporary Bookstore, 2014.

٤٩ ديفيد فيشر: **أخلاقيات الحرب**، ترجمة:عماد عواد، العدد: ٤١٤، عالم المعرفة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، يوليو ٢٠١٤م.

50 - Voir Gregory M. Reichberg *et al.*, **The Ethics of War : Classic and Contemporary Readings**, Oxford, Blackwell Publishers, 2006.

٥١- الفارابي: **كتاب تحصيل السعادة**، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، ص٧٥.

على سبيل التمثيل. ويرى الباحث المغربي محمد الشيخ " أن ثمة فوارق بين تصور الفارابي وابن رشد حول الحرب العادلة بقوله:" والحال أن الفارق الجوهري بين الفارابي وابن رشد فيما نحن أمامه ـ موضوع "الحروب العادلة" ـ إنما يكمن ـ بداية- في غياب اصطلاح "الحروب العادلة" في كتابات الفارابي السياسية. لكن، هذا ليس يعني إطلاقا غياب الإشارة إلى معناها على نحو غير مباشر. والحال أنه في هذا الأمر يكاد يتفق رأيا ابن رشد والفارابي. إذ كان الفارابي قد أشار إلى طريقتي التأديب- الطوعي والكرهي ـ متحدثا عن "تأديب الأمم والمدن"، مشيرا ـ في كتابه "تحصيل السعادة" ـ إلى" استعمال آلات الحرب والناس الحربيين في مغالبة الأمم والمدن، الذين لا يتعادون لفعل ما ينالون به السعادة التي لأجل بلوغها كون الإنسان"(٣٦) .وبهذا، إذا كان ابن رشد يعد "حروبا عادلة" تلك الحروب التي تخوضها المدينة الفاضلة ضد "سائر الأمم غير الخيرة والتي لا تجري أفعالها على المجرى الإنساني"؛ أي " إكراهها بواسطة الحرب على الأخذ بالفضائل"، فإن الفارابي يعلن عن مبدأ "الحق في سعادة كل الأمم" سببا مبررا لخوض حروب المدينة الفاضلة عن غيرها من المدن تكون حروبا عادلة"[٥٣].

ومن جهة أخرى، لم نجد عند الباحثين العرب المعاصرين ـ حسب اعتقادنا- مؤلفات كثيرة كالباحثين الغربيين، تتناول الحرب العادلة بالتأريخ والتحليل والنقد والتعريف، سوى بعض الدراسات المعدودة على الأصابع، ولاسيما كتاب(**نظرية الحرب العادلة**) لعبد الله نصار (١٩٩٣م)[٥٤] ، وبعض المقالات المنشورة في المجلات والجرائد والصحف والمواقع الإلكترونية هنا وهناك، كمقال محمد الشيخ بعنوان (**الحرب العادلة في**

---

[٥٢] ـ ابن رشد: **الضروري في السياسة** (مختصر كتاب السياسة لأفلاطون)، نقله عن العبرية أحمد شحلان، سلسلة التراث الفلسفي العربي، مؤلفات ابن رشد (٤)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٢،صص:٧٣-٨٣.

[٥٣] ـ محمد الشيخ: (الحرب العادلة في تصور التقليد الفلسفي العربي)، **مجلة التفاهم**، سلطنة عمان، العدد٤٢، ٢٠١٣م.

[٥٤] ـ نصار عبد الله: **مدخل إلى نظرية الحرب العادلة**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م.

تصور التقليد الفلسفي العربي)[٥٥]، ومقال يحيى الشمري بعنوان (**نظرية الحرب العادلة في القانون الدولي)**[٥٦]، ومقال يعقوب يوسف بعنوان (**نظرية الحرب العادلة / ولادة العنف المسيحي)**[٥٧]، ومقال حمدي الشريف (**نظرية الحرب العَادِلَة بين اليُوتُوبيا والأيديولوجيا)**[٥٨]، ومقال محفوظ بورابة **(الحرب العادلة)**[٥٩]...

وخلاصة القول، هكذا، يتبين لنا أن الحرب العادلة لها سياق تاريخي غربي طويل، يعود إلى العصور الوسطى مع الفلاسفة واللاهوتيين الكنسيين المسيحيين. وقد تطور مفهوم الحرب العادلة من مفهومه الديني والأخلاقي والفلسفي إلى المفهوم القضائي والقانوني، وأصبح مفهوما سياسيا كونيا بارزا في العلاقات الدولية.

وإذا كانت الحرب العادلة لها حضور نسبي في كتابات الفلاسفة المسلمين كالفارابي وابن رشد مثلا، فإن مفهوم الحرب العادلة، في كتابات الباحثين العرب المعاصرين، لم يستو بعد نظريا ومنهجيا وإجرائيا. ومازالت الدراسات حوله قليلة جدا مقارنة بما أنتجه الباحثون الغربيون المعاصرون، اللهم إذا استثنينا بعض المقالات الورقية الصحفية والإلكترونية والمترجمة المبثوثة هنا وهناك.

---

[٥٥] - محمد الشيخ: (الحرب العادلة في تصور التقليد الفلسفي العربي)، **مجلة التفاهم**، سلطنة عمان، العدد٤٢، ٢٠١٣م.

[٥٦] - يحيى الشمري : (نظرية الحرب العادلة في القانون الدولي)، ١٥ أبريل ٢٠١٥م.
https://www.linkedin.com/pulse/A-dr-yahya-alshammari

[٥٧] - يعقوب يوسف: (نظرية الحرب العادلة / ولادة العنف المسيحي)
http://www.plough.com/ar/topics/justice/nonviolence/just-war-theory-ar.

[٥٨] - حمدي الشريف : (نظرية الحرب العَادِلَة بين اليُوتُوبيا والأيديولوجيا)، **مؤسسة مؤمنون بلا حدود**،١٨أبريل ٢٠١٦م،
http://www.mominoun.com/articles/

[٥٩] - محفوظ بورابة : (الحرب العادلة)،
http://bou4w26-notebook.blogspot.com/2014/05/just-war.html#.V2-m7xLNS9t

الفصل الثاني:

نظريات وتصورات حول الحرب العادلة

لايمكن استيعاب دلالات الحرب العادلة الظاهرة والخفية ، في مختلف مفاهيمها وسياقاتها ومقوماتها وتجلياتها، إلا بتتبع نظرياتها الكبرى المختلفة كالنظرية الواقعية، والنظرية الأخلاقية، والنظرية المسالمة، والنظرية الليبرالية، والنظرية النقدية، مع رصد مختلف التصورات الفكرية والذهنية والواقعية التي تعاملت مع هذه الحرب الأخلاقية والقانونية والفلسفية، ضمن منظورات متنوعة، ومقاربات مختلفة على النحو التالي:

المبحث الأول: نظريات الحرب العادلة

يمكن الحديث عن مجموعة من النظريات والاتجاهات الكبرى المتعلقة بالحرب العادلة، ويمكن حصرها في مايلي:

❶ **النظرية الواقعية (La théorie réaliste)**[٦٠]**:** برزت النظرية الواقعية خلال الحرب الباردة. و" تفترض الواقعية أن الشؤون الدولية عبارة عن صراع من أجل القوة بين دول تسعى لتعزيز مصالحها بشكل منفرد، وهي بذلك تحمل نظرة تشاؤمية حول آفاق تقليص النزاعات والحروب، غير أنها ساعدت على تزويدنا بتفسيرات بسيطة لكنها قوية للحروب، والتحالفات، والإمبريالية، وعقبات التعاون وغيرها من الظواهر الدولية. كما أن تركيزها على النزعة التنافسية كان متناسبا جدا مع جوهر الصراع الأمريكي-السوفييتي.

"الواقعية ليست نظرية واحدة بطيعة الحال، كما أن الفكر الواقعي تبلور بالأساس خلال فترة الحرب الباردة .فالواقعيون الكلاسيكيون مثل هانس مورقينتو وراينهولد نايبور يعتقدون أن الدول مثلها مثل البشر تمتلك رغبة

---

٦٠ -ارتبطت النظرية الواقعية، في مجال العلاقات الدولية، بهانز مورغنتاو (Hans Morgenthau)(١٩٨٠-١٩٠٤م) صاحب كتاب(**السياسة بين الأمم**). وتعتمد هذه النظرية على عنصر القوة التي تعد أهم عامل في تحصيل المكاسب والثروات، والتأثير في سلوك الآخرين.

Hans Morgenthau, **Politics Among Nations**, New York, McGraw-Hill, 1993, p. 3-16.

فطرية في السيطرة على الآخرين، وهو ما يقودها نحو التصادم والحروب، وقد أبرز مورقينتو فضائل نظام توازن القوى التقليدي المتعدد الأقطاب، ويرى أن نظام الثنائية القطبية الذي برزت فيه الو.م.أ. والاتحاد السوفييتي يحمل العديد من المخاطر."

وبالمقابل، فإن النظرية النيوواقعية التي يتزعمها كينيث وولتز تغفل الطبيعة البشرية وتركز على تأثير النظام الدولي، فبالنسبة لـ وولتز، فإن النظام الدولي يتشكل من مجموع القوى الكبرى، كل منها تسعى للحفاظ على وجودها. فهذا النظام فوضوي (بمعنى انتفاء سلطة مركزية تحمي كل دولة من أخرى) وفي ظله نجد أن كل دولة لا تهتم سوى بمصالحها، غير أن الدول الضعيفة تسعى لإيجاد نوع من التوازن بدلا من الدخول في صراع مع الخصوم الأقوياء. وأخيرا، وخلافا لـ مورقينتو فإن وولتز يعتقد أن النظام الثنائي القطبية أكثر استقرارا من النظام المتعدد الأقطاب"[٦١].

وبناء على ما سبق، يرى الاتجاه الواقعي أن الحرب ضرورية من أجل الدفاع عن الدولة أو الوطن أو الأمة من أجل تحقيق منافعها المباشرة وغير المباشرة، سواء أكانت حربا دفاعية أم هجومية، ولا يهم نوع الوسائل المستخدمة في تلك الحرب، أو طبيعة تلك الحرب، فلا وجود للأخلاق أو الضمير؛ لأن الغاية تبرر الوسيلة. وتتبنى هذه النظرية تصورات توماس هوبز كما في كتابه (**التنين**) من جهة، وتصورات ميكيافيلي كما عرضها في كتابه (**الأمير**) من جهة أخرى. ويعني هذا أن هذه النظرية عبارة عن" سياسة تضع العظمة المادية والنجاح للأمة التي ينتمي إليها الفرد قبل أي اعتبارات أخرى"[٦٢].

وهنا، يمكن الحديث عن **واقعية مطلقة** تنكر أي ارتباط بين الحرب والأخلاق في بداية انطلاقها، أو في أثنائها، أو بعدها. وهناك أيضا

---

[٦١] - محمد عصام العروسي: (نظرية العلاقات الدولية)، **الموقع الرسمي للجمعية الفلسطينية لحقول الإنسان/راصد**، بتاريخ السبت ٢٥يوليو٢٠١٥م،
http://www.pal-monitor.org/news.php?extend.380.34

[٦٢] - انظر: دفيد فيشر: **الأخلاقيات والحرب: هل يمكن أن تكون الحرب عادلة في القرن الـ (٢١)؟** ، ترجمة أ. د .عماد عواد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، يوليو/ تموز/ ٢٠١٤.

الواقعية المتواضعة التي تأخذ بزمام الأخلاق في بداية الحرب، أما في أثناء خوضها ، فلا أهمية للأخلاق، ولا محل لها من الإعراب[٦٣].

وعلى هذا الأساس تعد الحرب الدفاعية حربا أخلاقية من المنظور الواقعي؛

❷ **النظرية السلمية(la théorie pacifique):** ترفض هذه النظرية الحرب بصفة جذرية، ولا تعترف بوجود حرب عادلة أو غير عادلة. فالحرب حرب، مادمت تحصد الأرواح، وتسفك الدماء، وتخرب البنيان، وتعبر عن الحقد والشر والانتقام والعدوان، ولا يهم إن كان هناك سبب عادل[٦٤]، أو قضية عادلة، أو هدف عادل[٦٥]. فالحرب العادلة هي حرب غير عادلة.ويمكن الحديث عن النظرية السلمية المطلقة التي ترفض الحرب بصفة جذرية كما عند الفيلسوف الألماني كانط، والنظرية السلمية المعتدلة التي تقبل بالحرب في حالة الدفاع فقط، كما أثبت ذلك الرئيس الفرنسي جاك شيراك (**Chirac**)(١٩٣٢-؟) بقوله:" الحرب دائما هي أسوأ الحلول[٦٦]."

وتجد هذه النظرية منطلقها في الأديان السماوية: المسيحية، واليهودية، والإسلامية، كما في (العهد القديم)، و(العهد الحديث)، و(القرآن الكريم)،وقد حرمت هذه الأديان القتل بصفة مطلقة إلا إذا كان ذلك للدفاع المشروع، أو كان قتلا غير مقصود[٦٧].

---

[٦٣] - ديفيد فيشر: **الأخلاقيات والحرب**، ص:٣٠.

[64] Monique CANTO-SPERBER. «La guerre juste, une notion impertinente?», **Esprit**, no 2, février 2005, p.206

[65] -Jenny Teichman, **Pacifism and the Just War**, A Study in Applied Philosophy. Oxford : Basil Blackwell, 1986, p. 31-34.

[66]

[67] -Douglas Lackey, **The Ethics of War and Peace**, Englewood cliffs, prentice-Hall, 1989, p. 8-9.

❸ **النظرية الأخلاقية(La théorie moraliste):** يرى هذا الاتجاه أن الحرب، في بعض الأحيان، تكون لضرورة ما، من أجل إزالة شر كبير بشر صغير. ولكن ، مع ذلك، لابد من التقيد بالضوابط الأخلاقية والقواعد الربانية في استعمال تلك الحرب، دون إلحاق الضرر بالمدنيين والأبرياء[٦٨].

ونرى أنه من غير الممكن - إطلاقا- منع الحروب بشكل جذري ونهائي؛ إذ تدفعنا الرؤية الواقعية الحكيمة إلى إعلان هذه الحروب، عندما يكون هناك عدوان غاشم ومستمر على الشعب الآمن، أو انتقام عدواني بشع من المدنيين تعسفا وظلما وتشفيا وحقدا. ولكن لابد من خوض هذه الحرب وفق المشيئة الربانية، وفي ضوء العقيدة الإسلامية، ووفق القوانين المحلية والوطنية والدولية، من أجل تحقيق العدالة والمساواة، وتثبيت السلم، وتوفير الأمن. ويمكن استخدام الحيلة والمكر والخداع في تلك الحرب من أجل الإطاحة بالعدو، مادام الهدف منها هو الدفاع عن قضية عادلة ومشروعة. ويمكن كذلك اللجوء إلى حرب استباقية، إذا كان الهدف الشرعي يستلزم ذلك.

❹ **النظرية النقدية(La théorie critique):** يمثلها مايكل وولز(WALZER)، وأساسها أن يكون هناك نقد دائم للحرب العادلة، مع تحميل الأطراف السياسية والعسكرية المسؤولية الكاملة عما يرتكبونه من مجازر وويلات في حق الشعوب الآمنة والمدنيين الأبرياء، مع السعي من أجل نشر الخير والفضيلة والسعادة ، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل[٦٩]؛

---

68 -Michael Walzer, **Morale minimale, morale maximale**, Paris, Bayard, 2004, p. 18.

69 - Walzer M., « Le — dangereux ? — triomphe de la « guerre juste » » (2002) in : **De la guerre et du terrorisme**, Paris, Bayard, 2004, trad. C. Fort, p. 19-44

❺**النظرية الليبرالية:** ترتبط هذه النظرية بالمنظور الليبرالي القائم على الاقتصاد الحر، والشركات المتعددة الجنسيات، والإيمان بالديمقراطية السياسية، والاحتفاء بالتعاون بين الدول. ومن ثم، " فالتحدي الأساس للواقعية يأتي من عائلة النظريات الليبرالية، التي ترى إحدى اتجاهاتها أن الاعتماد المتبادل في الجانب الاقتصادي سوف يثني الدول عن استخدام القوة ضد بعضها البعض، لأن الحرب تهدد حالة الرفاه لكلا الطرفين.

اتجاه آخر منسوب للرئيس الأمريكي الأسبق وودرو ويلسون، يرى أن انتشار الديمقراطية يعتبر مفتاحا للسلام العالمي، ويستند هذا الرأي إلى الدعوى القائلة بأن الدول الديمقراطية أكثر ميلا للسلام من الدول التسلطية.

وهناك اتجاه ثالث، وهو الأحدث، يرى أن المؤسسات الدولية مثل وكالة الطاقة الذرية وصندوق النقد الدولي، يمكن أن تساعد للتغلب على النزعة الأنانية للدول عن طريق تشجيعها على ترك المصالح الآنية لصالح فوائد أكبر للتعاون الدائم .

وعلى الرغم من أن بعض الليبراليين احتفوا بالفكرة التي تعتبر أن الفاعلين عبر القوميين - خاصة الشركات المتعددة الجنسيات - استحوذوا تدريجيا على سلطات الدول، فإن الليبرالية بصفة عامة ترى في الدول فاعلين مركزيين في الشؤون الدولية. وفي كل الحالات فإن جميع النظريات الليبرالية تطغى عليها النزعة التعاونية بشكل يتجاوز بكثير الاتجاه الدفاعي في النيوواقعية، على أن كلا منهما يقدم لنا توليفة مختلفة عن كيفية تعزيز هذا التعاون...[٧٠]"

---

[٧٠] - محمد عصام العروسي: (نظرية العلاقات الدولية)، **الموقع الرسمي للجمعية الفلسطينية لحقوق الإنسان/راصد**، بتاريخ السبت ٢٥يوليو٢٠١٥م،
http://www.pal-monitor.org/news.php?extend.380.34

إذاً، تدافع هذه النظرية عن الحرب من منظور ليبرالي فردي، على أساس أن الحرب دفاع شرعي عن النفس، وتكون تلك الحرب صادرة عن القضاة أو المحكمين أو الأشخاص المتضررين، ويكون هدفها هو إلحاق الضرر بالمتعدين، ومحاكمتهم قضائيا. وليس هناك استثناء أو تمييز؛ لأن الحرب المعلنة - هنا- ليست ضد الدولة، بل ضد الأفراد أو الجماعات المعتدية. بيد أن هذه الحرب تميز بين المعتدين وغير المعتدين.وبالتالي، لا تعود المسؤولية عن هذه الحرب إلى الذين يحكمون، بل إلى الذين ينفذون الحرب. ومن أمثلة هذه النظرية ما قامت به الولايات المتحدة الأمريكية للانتقام من مرتكبي واقعة الحادي عشر سبتمبر.

وعلى الرغم من هذه النظريات، تبقى النظرية الواقعية هي السائدة في حقل العلاقات الدولية؛ إذ أصبحت القوة هي الفاعل الرئيس في إدارة الحروب، ولم يعد للأخلاق أية مكانة في حروب الألفية الثالثة. وقد تشكك الجميع في المنظور الأخلاقي المثالي في حل مشاكل العالم المعاصر وتسويتها، بعد أن أصبح العالم بدون قيم، ولا ضمير. وهكذا، وجدنا الكثير من الدارسين والباحثين في مجال السياسة والعسكرية والفلسفة ينفرون من المجال الأخلاقي الذي لم يعد له أي اعتبار أو اهتمام يذكر.

المبحث الثاني: التصــورات النظرية

يمكن الحديث عن مجموعة من الآراء الفلسفية واللاهوتية والسياسية والدينية المتعلقة بالحرب العادلة، سواء أكانت تلك التصورات قديمة أم حديثة أم معاصرة، ويمكن حصرها فيما يلي:

المطلب الأول: القديــس أوغستــان والدعوة إلى الحرب العادلة

يعد القديس أوغيسطينيوس(St Augustin) من اللاهوتيين الأوائل الذين تحدثوا عن الحرب العادلة في كتابه (**مدينة الله/ La cité de dieu**)، ضمن تصور مسيحي كنسي كاثوليكي، على أساس أن الأديان الربانية

تحرم القتل بصفة عامة، إلا إذا كان قتلا شرعيا ، أو أمرا مقدسا، أو حربا بأمر من الله.وبالتالي، تحرم الأديان السماوية، وخاصة المسيحية منها، قتل الإنسان لأخيه الإنسان.أما ما يتعلق برغبة إبراهيم في قتل ابنه إسماعيل، فهو استثناء خارج عن القاعدة العامة. ومن هنا، لايجوز الانتحار أو القتل إلا إذا كان قانونيا أو شرعيا تقره الأنظمة الدينية، أو أنظمة الدولة، أو إذا كان قتلا مبررا بقوانين شرعية. وينبغي ألا تكون تلك القوانين في خدمة المصالح الشخصية، أو من أجل إشباع الأهواء الذاتية، أو تحقيق الأغراض المادية والمنافع الدنيوية الزائلة. ويعني هذا كله أن الحرب العادلة هي تلك الحرب القائمة على العناية الإلهية، وتكون أيضا مباركة من الله، وتكون كذلك في سبيل الله.

ومن هنا، يدافع أوغيسطينيوس عن الدول التي تحارب باسم القانون والشرعية، وخاصة إذا كانت الحرب من أجل الدفاع عن أرواح الأبرياء، أو كانت من أجل قضية شرعية وعادلة، أو من أجل محاربة الظلم والفساد في الأرض. ويعني هذا أن الحرب العادلة هي حرب دفاعية لصد العدوان، والوقوف في وجه الظلم.

وبناء على ما سبق، فإن دفاع الإنسان عن نفسه هو فعل شرعي، ودفاع الجماعة عن نفسها هو فعل شرعي كذلك، ودفاع الدولة عن نفسها يعد فعلا شرعيا مبررا باسم الدين، وباسم القوانين الوطنية والدولية. لذلك، نجد الأديان السماوية تعتبر قتال الجنود الذين يدافعون عن الدين أو الوطن أو القضية العادلة فعلا استشهاديا.وبالتالي، فموت الجندي أو العسكري هو بمثابة استشهاد في سبيل الله، يدخله الجنة العلية.وفي هذا الصدد، يقول أوغسطينيوس: "غير أن تلك السلطة الإلهية قد وضعت بعض الاستثناءات في تحريم القتل؛ ويأمر الله أحيانا بالقتل بواسطة شريعة عامة، أو من خلال وصية وقتية أو خاصة، على أن ذلك العمل لايكون، أدبيا ، قتلا، لأن مهمته تأتيه من السلطة، وليس هو سوى أداة كالسيف الذي به يضرب.أو لم يتجاوز الوصية أولئك الذين بأمر من الله عملوا الحرب، أو ، تمرسا بالسلطة العامة ، عاقبوا بالموت ، بموجب الشريعة، أي وفقا للعدل؟ ألا يتهم إبراهيم بالقسوة وهو المعروف بتقواه عندما أراد أن يقتل ابنه فيصبح قاتلا طوعا؟ويتساءل الإنسان بحق هل عليه أن يرى

أمرا إلهيا في مقتل ابنة يفتاح المسرعة إلى لقاء أبيها الذي أقسم بأن يذبح لله أول ما يقع عليه نظره لدى عودته من المعركة منتصرا. وإن عذرنا شمشون لكونه دفن ذاته مع الأعداء تحت ردم بناء، انصياعا لأمر من الروح باطني، كان بواسطته يعمل العجائب.

خارجا عن هذه الاستثناءات التي أوصى الرب فيها بالقتل، إما بشريعة عامة وعادلة، أو بأمر صريح من الله، فالذي يقتل أخاه أو نفسه هو قاتل ومجرم."[٧١]

ومن الظلم، أن تكون الحروب البشرية باسم اللصوص والعصابات الفاسدة التي يكون غرضها من الحرب أو القتال هو السيطرة والهيمنة على الآخرين، وتحقيق الرغبات الشخصية، والمنافع المادية.وفي هذا ، يقول أوغيسطينيوس:" وفي الواقع إذا فقد العدل أصبحت الممالك جماعات كبيرة من اللصوص. وما هي جماعة اللصوص إن لم تكن مملكة صغيرة؟ إنها مجموعة من البشر تأتمر بأمر إنسان واحد، وتعترف بعهد اجتماعي ينظم تقاسم المغانم فيما بينها.إذا كانت المجموعة هذه شريرة، وجندت أعضاء جددا فيها فكبرت، واحتلت بلادا، وأقامت لها مراكز هامة، واتخذت مدنا فأخضعت شعوبا، تتخذ علنا آنذاك لقب مملكة لايضمن لها الزهد بالجشع بل عدم العقاب."[٧٢]

ويعني هذا أن الحرب لن تكون عادلة إلا إذا كانت بأمر من الله، ووفق العناية الإلهية، ووراء كل حرب شرعية حكمة ربانية ما، قد يجهلها الإنسان العادي والعالم معا. وفي هذا النطاق، يقول أوغيسطينيوس:" بصفته الحكم الأسمى للحرب نراه يستعمل العدل أو الرحمة، فيضرب الجنس البشري أو يؤاسيه عندما يطيل مدة الحرب أو يقصرها."[٧٣]

ويعني هذا كله أن الحروب الإلهية التي يخوضها البشر ، بإذن الرب ومشيئته، هي حروب عادلة وأخلاقية، وفي صالح الإنسان؛ وليس لله

---

[٧١] - القديس أوغسطين: **مدينة الله**، المجلد الأول، ترجمة: الخورأسقف يوحنا الحلو،سلسلة التراث الروحي، دار المشرق، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م، ص:٤١.

[٧٢] - القديس أوغسطين: **مدينة الله**، ص:١٧٢.

[٧٣] - القديس أوغسطين: **مدينة الله**، ص:٢٦٤.

سوى الصالح والأصلح، على الرغم من نتائج الحرب الوخيمة ومآسيها الشديدة على جميع الأصعدة والمستويات.

المطلب الثاني: تومـــا الأكوينـــــي والمبادئ الثلاثة

يعتبر القديس توماس الأكويني(St Thomas d'Aquin) من أهم الفلاسفة وعلماء اللاهوت الذين تحدثوا عن الحرب العادلة في كتابه(**الخلاصة اللاهوتية/Somme théologique**)[٧٤].

ينطلق الأكويني من أن الحرب فعل مشين وسيء، وخطيئة كبرى تجر الويل والإثم والعقاب.ومن ثم، فالحرب غير مباحة إلا بإذن من الله، وكل من قتل أخاه، بدون إذن شرعي، فمآله وخيم وخطير وعسير، يستحق عنه العذاب الرباني، ويناله الغضب الرباني.ويعني هذا أن الحرب فعل مقدس ونبيل وحكيم. فلا يمكن للأفراد أو البشر أن يطبقوا العدالة بأنفسهم، فلابد من الاحتكام إلى شريعة الله. وبالتالي، فالحرب هي رذيلة، وليست فضيلة كالسلام. ومن هنا، فالحرب مذمة وإثم وخطأ فادح في منظور الدين والكنيسة[٧٥].

وقد رأى توما الأكوني أن هناك ثلاثة مبادئ كبرى تتحكم في الحرب العادلة هي:

❶ **مبدأ سلطة الأمير**: ينبغي أن تكون الحرب العادلة تعبيرا عن قوة الشعب، وإرادة الدولة العمومية، وإلا كانت عدوانا أو جريمة ترتكب في حق الآخرين. بمعنى أن تشرف عليها الدولة في شخص حاكمها أو أميرها أو رئيسها أو ملكها.ومن هناك، تتخذ تلك الحرب صفة رسمية عامة، ولا

---

[74] -St. Thomas D'Aquin : **Somme théologique** (Secunda secundæ : la morale particulière, Question 40 : la guerre).

[75] -St. Thomas D'Aquin : **Somme théologique**, Il Ilae 40. question 40, La guerre.

تكون ذات طابع شخصي أو فردي أو خاص.أي: تكون الحرب بأمر من سلطة دنيوية شرعية وقانونية ومنتخبة، تمثل إرادة الأمة؛

❷ **مبدأ السبب العادل، أو القضية العادلة:** يكون سبب الحرب العادلة شرعيا وقانونيا ومقبولا من قبل الجميع، كمواجهة الغزاة - مثلا-.أي: تكون الحرب عادلة، مادامت تدافع عن قضية عادلة، وسببها عادل أيضا، وهدفها عادل كذلك.وهنا، نتحدث عن عدالة القضية في الحرب العادلة؛

❸ **مبدأ الهدف المشروع، أو مبدأ النية الصادقة:** لاينبغي أن ترتبط هذه الحرب بنوايا خفية ودفينة قبل الحرب وانتهائها، أو تكون مبنية على نوايا شخصية معينة، هدفها تحقيق مجموعة من المنافع والمصالح والأغراض المادية والشخصية، بل ينبغي أن تكون تلك الحرب ظاهرة الأسباب للعيان، وأن يكون هدفها خدمة الصالح العام. ولا ينبغي أن تكون تلك الحرب كذلك بسبب الحقد، والشر، والكراهية، والعدوان، والانتقام، والحسد، والتشفي، والإرهاب، والتطرف، والهيمنة؛ أو من أجل الإبادة الجزئية أو الكلية أو الشاملة؛ أو من أجل إظهار قوة العتاد، باستعمال أسلحة دموية فتاكة...

ويعني هذا أن الحرب العادلة، عند توما الأكويني، قائمة على ثلاثة مبادئ أساسية هي: عدالة الأساس القانوني، وعدالة القضية، وسلامة القصد.

ويرى الأكويني أيضا " أن الإنسان لا يعرض حياته للخطر إلا لأجل العدالة؛ فالقوي لا يكون بمعنى ما جديرًا بالإعجاب إلا من حيث هو عادل."[٧٦]

ومن هنا، يمجد توما الأكوني السلام، ويذم الحرب، ويعتبر الحرب فعلا عدوانيا آثما ومقيتا، ولاتكون الحرب عادلة ومشروعة وشريفة إلا إذا

---

[76] -Saint Thomas d'Aquin: **Somme Théologique**: La Force Ed. de la Revue des jeunes 1926 ; p. 52.

باركها الله، وكانت من أجل قضية عادلة، وسببها مشروع، ويخوضها قائد أو أمير عادل، بعد عدوان أو ظلم من قبل الخصوم الأجانب. ومن ثم، فالمحارب العادل هو الذي يقاتل برمح الله، أو بيد الله، حتى يتحقق له النصر المظفر، أو التمكين النهائي، أو النجاة في الدنيا والآخرة. ومن هنا، فأولئك الذين يخوضون حروبا عادلة هم الذين يبحثون، في الحقيقة، عن السلام العادل، أو سلام الشجعان. ومن هنا، فنحن لا نبحث عن السلم من أجل إشعال فتيل الحرب، بل نبحث عن الحرب من أجل تحقيق السلام. لذا، على المتحاربين أن يكونوا أخلاقيين في حروبهم حتى يحققوا النصر، ويحصلوا على السلام الذين يرجونه بشكل مستميت، بدفع خصومهم إلى طاولة التفاوض من أجل الاحتكام إلى لغة السلم بدل سلاح الحرب.

وينبغي أن تكون الحرب عادلة يخوضها الجميع سواسية، كل واحد من مكانه المناسب، أو من موقعه الخاص. ومن ثم، تفرض هذه الحرب على كل المواطنين كافة، بما فيهم الحكام والقساوسة ورجال الدين.أي: إن الحرب واجب كلي، أو فرض عين بالمفهوم الشرعي الإسلامي، وليس فرض كفاية حسب توما الأكويني. ومن جهة أخرى، أشاد الأكويني بجهود رجال الدين في تحفيز المواطنين على القتال والاستشهاد نظرا لمكانتهم السامية في المجتمع، وعليهم أن يكونوا مثالا وقدوة في النضال والتضحية والقتال.

ويرفض توما الأكويني استخدام الحيلة أو الخداع في الحروب العادلة، على أساس أن الخداع والمكر والحيلة من الوسائل غير المشروعة دينيا. وبالتالي، لايمكن استعمالها في حرب عادلة أو مباركة من الله. ويمنع استعمال الخداع مع الأعداء؛ لأن ذلك مرتبط بالكذب، والكذب حرام في شريعة الرب.ومن هنا، تكون الحرب عادلة في أسبابها، وموضوعها، ووسائلها، وأهدافها، ومقاصدها. ومن ثم، لايمكن ربطها بالخداع والمكر والحيلة.

أضف إلى ذلك أنه لا يجوز القتال في الاحتفالات الدينية المباركة والمقدسة، أو إبان أيام العيد، أو في أثناء أيام الصوم، أو طوال الأيام المحرمة احتراما للنظام الرباني، وتنفيذا للتعهدات الإلهية. ولايمكن مخالفتها إطلاقا، كما فعل اليهود الذي كانوا يحاربون حتى في عيدهم الذي يصادف يوم السبت[٧٧].وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك، في سورة البقرة:" ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت، فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين، فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ."[٧٨]

وإذا كانت الحرب العادلة عند ميكيافيلي ضرورة ليس إلا، فإن الحرب العادلة عند توما الأكويني هي التي تنبني على سبب عادل، وقضية عادلة، و حكومة شرعية عليا، ويكون هدفها هو تحقيق الصالح العام.

المطلب الثالث: مدرسة سالمانكا والحرب العادلة

يمثل هذه المدرسة الإسبانية (L'École de Salamanque) كل من فرنسيسكو دي فيتوريا(Francisco de Vitoria) (1492-1546) وفرانسيسكو دي سواريز (Francisco Suarez)(1548-1617). فقد أسبغ الأول الشرعية الدينية والقانونية على غزو إسبانيا للعالم الجديد سنة ١٥٣٢م، على أساس أن إعلان إسبانيا الحرب على الهنود الأمريكيين في جنوب أمريكا هو قتال مشروع من أجل إدماجهم في المنظومة الحضارية الغربية من جهة، و"تمسيحهم" من جهة أخرى، وإن كان الهدف الحقيقي من ذلك هو البحث عن الثروات المادية من أجل تلبية حاجيات إسبانيا على حساب أرواح الأبرياء والسذج من البشر.
وقد نشر فرانسيسكو فيتوريا كتابا بعنوان **(الحرب العادلة على البرابرة)** سنة ١٥٣٢م، حيث يدعو إلى الحد من استعمال القوة والعنف بين الشعوب المتحاربة في مرحلة إدارة الحروب وخوضها بغية إيجاد الحلول من أجل تثبيت السلام العادل. وقد قدم تصورات علمانية حول الحرب العادلة، فقد

---

77 -St. Thomas D'Aquin : Il Ilae 40. Question 40, La guerre.

٧٨ - سورة البقرة، الآيتان:٦٥-٦٦، القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

تضمن كتابه تصورات نظرية أساسية لتأسيس القانون الدولي المعاصر، ويعد إلى جانب هيجو كروسيوس من المؤسسيين الحقيقيين لهذا القانون.
ويعتبر فيتوريا أول من طرح فكرة خلق منتظم دولي يحتكم إلى القانون الطبيعي ، وأن تنبني العلاقات الدولية على الأخلاقيات والقوانين لا على القوة والعنف.أي: لابد من تخليقها بضوابط قانونية وشرعية. ويعني هذا أن فيتوريا كان يدعو إلى قانون دولي عالمي وكوني بغية الاحتكام إليه لتفادي الحروب بين الدول والشعوب. في حين، كان ميكيافيلي يدعو إلى استقلالية الدولة بقراراتها السياسية والأخلاقية.
وينطبق هذا الحكم أيضا على فرانسيسكو سواريز ولاس كاساس (Las Casas)(1474-1566) اللذين ينتميان إلى المدرسة السكولائية الإسبانية (La Scolastique espagnole) التي تأثرت كثيرا بأفكار كروسيوس(Grotius).

المطلب الرابع: كروتيوس وقانون الحرب والسلام

يعد هيجو كروسيوس (Hugo Grotius) من أهم المنظرين للحرب العادلة في عصر النهضة. وقد نشر ثلاثة كتب حول (**قانون الحرب والسلام**) سنة ١٦٢٥م[٧٩]، ويتساءل عن الفرق بين الحرب العادلة والحرب غير العادلة [٨٠].ومن هنا، فالحرب العادلة عنده هي دفاع الجيش عن الحق، والأخذ بعين الاعتبار شرعية السبب وعدالتها، وليس الاهتمام بطبيعة الحرب.

ويعد كروسيوس أول من نظر إلى الحرب العادلة من منظور علماني يفصل الحرب عن الدين والأخلاق.ويعني هذا أنه تناول الحرب العادلة في مفهومها القانوني والقضائي، ولاسيما أنه يمثل مدرسة القانون الطبيعي.

---

[79] -GROTIUS H., **Le droit de la guerre et de la paix**, trad. de P.Pradier-Fodéré, édité par D. Alland et S. Goyard-Fabre, Paris, PUF, 1999.

[80] -Grotius: (livre 1, chapitre 1, § 3)..

وقد نظر إلى الحرب وفق التغيرات التي عرفها المجتمع الدولي، بعيدا عن المنظور الديني والأخلاقي. ومن ثم، فالحرب العادلة عند كروسيوس هي التي تدافع عن القانون.أما الحرب غير العادلة، فهي التي لاتهتم بذلك.علاوة على ذلك، تقوم الحرب العادلة على أربعة أسباب أساسية هي: الدفاع عن النفس، وتحصيل الأملاك واستردادها، و عقاب المذنبين المعتدين، واسترداد الديون[٨١].

وهكذا، فقد انتقل مفهوم الحرب العادلة من طابعه الكلاسيكي إلى بعده الوضعي القائم على القوانين السياسية المرتبطة بسيادة الدولة، وحق هذه الأخيرة في إعلان الحرب، بعيدا عن المنظور الديني والأخلاقي، كما يبدو ذلك واضحا في النظرية الكلاسيكية للحرب العادلة.

وعليه، تستند الحرب العادلة عند غروسيوس إذا توفرت فيها الشروط الثلاثة التالية:

❶ **مشروعية الحرب(*Jus ad bellum*)**: بمعنى ألا تعلن الحرب إلا بعد استنفاذ جميع قنوات التفاوض السلمي والدبلوماسي، وأن يكون سببها عادلا، وهدفها عادلا أيضا، مع استخدام وسائل تتناسب مع هدف الحرب، دون الإفراط في استخدام القوة والعنف، وأن يكون هناك تثبت أكيد من تحقيق النصر قصد الظفر بالسلام العادل؛

❷ **قانون الدخول في الحرب** (***Jus in bello***): ينبغي أن تلتزم الحرب المعلنة، في أثناء اندلاعها وشنها، بمجمل القواعد والضوابط القانونية والأخلاقية، بانتقاء الأهداف والأفعال المحددة والمعينة، وأن تتناسب الوسائل مع طبيعة الحرب، دون المبالغة في استعمال العنف؛

---

[81] -Haggenmacher P., **Grotius et la doctrine de la guerre juste,** PUF, Paris 1983. P 177.

❸ **قانون الخروج من الحرب (*Jus post bellum*)**: عندما تنتهي الحرب، يعقبها التفاوض، وتعويض الضرر، وتثبيت السلام العادل، والالتزام بالقوانين المسطرة بين الأطراف المتحاربة.

المطلب الخامس: إيمانويل كانط والثورة على الحرب

يرى إيمانويل كانط (Kant) (١٧٢٤-١٨٠٤م) أن القانون أو الحق هو الذي يسمح للدولة أن تعلن الحرب ضد دولة أخرى ، على أساس أنه المستند الوحيد للدفاع عن القضية الشرعية العادلة [٨٢] . ومن هنا، ينطلق كانط من رؤية أخلاقية كونية محضة، داعيا إلى سلام عالمي كوني، يحتكم إلى العقل والقانون والشرعية والضمير الأخلاقي.
وقد تبنت هيئة الأمم المتحدة أفكار كانط حول السلام العالمي. لذا، ينتقد مصطلح الحرب العادلة؛ لأن العقل الأخلاقي هو بمثابة فيتو أو ضمير داخلي يقاوم كل ميل نحو الحرب.بمعنى أن كانط يحرم الحرب بشكل نهائي[٨٣].

ومن ناحية أخرى، فقد دعا كانط إلى سلام كوني ، وتحدث عن الحرب في كتابه **(من أجل سلام دائم)**[٨٤] ، ولكن ليس من وجهة أخلاقية عادلة أو غير عادلة، وإنما ضمن رؤية كونية عقلية ومثالية، على أساس ضرورة تحقيق السلام، وإن لم يكن ذلك دائما، بل بشكل نسبي وتقريبي.

وبهذا، يكون كانط من زعماء النظرية السلمية المثالية التي ترفض الحرب بشكل قطعي ونهائي.ومن ثم، يتخذ تصور كانط طابعا عقلانيا وقانونيا . ومن ثم، لا يتعلق ذلك الاتجاه نحو السلام بالإرادة الحسنة للمتنازعين.ومن

---

[82] -Kant **: Doctrine du droit**, II, § 56).

[83]- KANT E., **Métaphysique des mœurs, II, Doctrine du droit – Doctrine de la vertu,** Paris, Flammarion, 1994, trad. A. Renaut, p. 167-184.

[84] - Kant E., **Projet de paix perpétuelle**, trad. anomyme revue et annotée par H. Wismann in Œuvres philosophiques, dir. F. Alquié, Paris, Gallimard, 1985.

هنا، يدعو كانط إلى التخلص من دولة الحرب، أو دولة الأفراد، بالاحتكام إلى سلطة دولية مشتركة، ومؤسسة عالمية كونية، ولن يتحقق ذلك إلا في الدول الديمقراطية التي تسعى إلى تحقيق السلم العالمي.

علاوة على ذلك، يطرح كانط مشروعا للسلام العالمي [٨٥]، وهو مشروع مثالي من الصعب تحقيقه واقعيا وإجرائيا، مع إدانة الحرب مهما كانت طبيعتها، مستبدلا إياها بالمعايير القانونية أو القضائية، منطلقا في ذلك من القانون الكوني، على أساس أن جميع الناس متساوون أخلاقيا، وخاصة في عالمنا الخاضع للعولمة.

ولا يقبل كانط حالة الحرب إلا في إطار ضيق جدا، يتعلق بحالة الدفاع عن النفس . وقد تكون الحرب، في بعض الظروف والمناسبات، ضرورية وعادلة وأخلاقية، إذا كان الغرض من تلك الحرب هو تجاوز الخلافات، وتحقيق السلام العادل والبناء والهادف. وهي أيضا قوة للأخلاقيين من أجل الحد من العنف الطبيعي لدى الأفراد والمتحاربين الآخرين.

وهكذا، يتبين لنا أن كانط يدافع كثيرا عن المبدأ الأخلاقي الذي لايمكن أن ينطفئ داخل الإنسان. وبالتالي، ينبغي أن يكون الوعي الأخلاقي هو الذي يتحكم في مسار الحرب من البداية حتى النهاية.

المطلب السادس: يوهـــان هابرماس

يعد الفيلسوف الألماني يوهان هابرماس(HABERMAS)[٨٦] (١٩٢٩م-؟) من أهم الفلاسفة الذين تناولوا الحرب من منظور كانطي كوني شامل، ضمن ما يسمى بالأخلاقيات الكبرى.

---

85 -Chung, Ryoa.Kant **et la notion de guerre juste**, Montréal, Université de Montréal, 1996,12p.

86 - Habermas J., « La Paix perpétuelle. Le bicentenaire d'une idée kantienne » (1995) in **L'intégration républicaine**, Fayard, Paris, 1998, trad. R. Rochlitz, III, 6 ; Habermas J., « D'une politique de la puissance à la société cosmopolitique » (1999) in **De l'usage public**

ويرى هابرماس أن جميع البشر متساوون بيولوجيا ووراثيا، ماداموا قد استفادوا من حظ الحياة وسعادتها. بيد أن هذه المساواة تتنافى واقعيا ومجتمعيا بسبب تعدد الفوارق الطبقية والاجتماعية. ولكن يمكن للمرء أن يحقق تلك المساواة بالتعليم، والتكيف الاجتماعي، وبأمور أخرى. بيد أن الحرب هي التي تدمر هذه المساواة، وتنهك التوازن المجتمعي، فينتج عن ذلك اختلال على مستوى العدالة.ومن هنا، فالحرب ليست عادلة، مادام هدفها هو الإخلال بتوازن المجتمعات بشكل خاص. وبالتالي، فهي ظلم وعدوان وشر فظيع.

ومن جهة أخرى، فقد دعا يورغان هابرماس، في كتابه (**الأخلاق والتواصل**)[٨٧] إلى ضرورة تأسيس الأخلاقيات الكبرى الكونية والعالمية التي تشترك في وضعها جميع الأمم، على اختلاف ثقافتها وعاداتها، بما فيها أخلاقيات الحرب، ويكون ذلك عن طريق التواصل المشترك، وفق حاجيات الأمم والدول، ووفق مقتضيات الإنجاز التداولي.

ومن هنا، يدعو هابرماس إلى تجاوز ما هو محلي نحو ما هو مؤسساتي، واعتماد قانون دولي يتجاوز القوانين الوطنية، ويدعو إلى تأسيس كونفدرالية دولية عالمية على غرار تصورات كانط، تهتم بشؤون الدول ونزاعاتها، وتعنى بأمور الحرب والسلام، وفق عقل تواصلي كوني. ويعني هذا أن هابرماس يدافع عن قانون كوني وعالمي، ينهل من فلسفة التواصل القائم على الأخلاقيات الكبرى[٨٨].

---

des idées, Paris, Fayard, 2005, trad. C. Bouchindhomme, p. 203-222. Écrit à l'occasion de l'intervention de l'Otan au Kosovo. Habermas J., « Que signifie la destruction de la statue (de Saddam Hussein) ? » (17 avril 2003) in **Une époque de transitions** – **Écrits politiques** 1998-2003, Paris, Fayard, 2005, trad. C. Bouchindhomme, p. 389-402.

87 -Habermas J**: Morale et communication** *: conscience morale et activité communicationnelle*, titre original : *Moralbewusstsein und Kommunikatives Handeln* (1983)

88 - Jürgen Habermas**, Morale et communication. Conscience morale et activité communicationnelle**, *Cerf, Paris, 1986, p. 88.*

ويلاحظ أن هابرماس يميز بين الأخلاق (la morale) والإيتيقا (l'éthique)، وهو التمييز نفسه الذي أقامه كانط بين المبادئ المادية القائمة على المحسوس ، والمبادئ الشكلية الصورية القائمة على ماهو كوني وعقلي[٨٩].

ومن هنا، ترتبط الأخلاق عند هابرماس بماهو شكلي وصوري ومثالي.في حين، تتعلق الإيتيقا بالمبادئ المادية. وأكثر من هذا فالأخلاق ترتبط ارتباطا وثيقا بالعدالة وما هو عادل، بله عن المبادئ الكونية.بينما ترتبط الإتيقا بالخير وحاجيات الأفراد. وهنا، الجمع بين النظرة الشكلانية والنظرة الواقعية.

ويعد هابرماس أيضا من مؤسسي أخلاقيات التواصل إلى جانب كارل أوطو آبل(Karl-Otto Apel)(١٩٢٢م- ؟)، على أساس أن الذي يتحكم في الفرد ليس هو الوعي الداخلي وأوامر الضمير كما يقول كانط، بل هو مبدأ التواصل الإنجازي.بمعنى أن الضمير الداخلي عند كانط هو الذي يتحكم في أخلاقيات الفرد التي تجعله يميز بين ماهو عادل وغير عادل، ضمن رؤية فردية ذاتية داخلية منولوجية. في حين، يتجاوز هابرماس هذه الفردية أو الذاتية أو المنولوجية الضيقة، بابتداع مصطلح التواصل(Communication)، أو الميل نحو تواصل حواري تعددي في مجال الفهم. وينبني هذا التواصل على مفاهيم التداوليات الصورية ونظرية الملفوظات الإنجازية كما عند أوستين (Austin).ومن ثم، فالسلوك أو التصرف الأخلاقي عند هابرماس هو الذي يقوم على التواصل الحواري المتعدد الذي يعبر عن الحرية المطلقة في النقاش، وإبداء وجهات النظر المختلفة.

ويعني هذا كله أن هابرماس هو امتداد لكانط في الدعوة إلى سلام كوني وعقلي وأخلاقي، إلا أن أخلاقيات هابرماس قائمة على العقل التواصلي.بينما أخلاقيات كانط قائمة على الضمير الأخلاقي الداخلي.أي: إذا كان كانط فيلسوف الداخل فقط، فإن هابرماس قد تجاوز ما هو عقلي داخلي، وماهو شكلاني أيضا، إلى ماهو خارجي ومجتمعي وسوسيولوجي. وفي هذا، يقول الباحث الجزائري سمير بلكفيف:"غير أن

---

89 - Emmanuel Kant**, Critique de la raison pratique**, théorème III, GF Flammarion, 2003, p. 120.

ما يجمع المشروعين في امتدادهما من العقل النقدي الأخلاقي إلى العقل الأخلاقي التواصلي هو أن هناك دائما شرعية كونية - حسب النموذجين- وهي المعيار الأساسي لاختيار مدى صحة أي قانون، ذلك أن الالتزام بالكونية هو التزام بعدم وجود حالات استثنائية تبطل ذلك الحكم الشامل؛ أي بلوغ أحكام أخلاقية كونية، غير أن هابرماس يرى في هذا النزوع الكوني صورية (شكلانية) مثالية تحتاج إلى أرضية واقعية يقترح هو وفق آلياته متمثلة في آلية العقل التواصلي، وهو لايتنكر للإرث الأنواري المنحدر من فلسفة كانط النقدية عبر مكسبها المهم ألا وهو النقد، فلازال النقد الكانطي يوظف بطريقة أو بأخرى في أعمال هابرماس، ومجمل تحركاته يمكن رصدها من خلال الإطار النقدي النظري الذي رسمه كانط للعقل، بالرغم من أن هابرماس يعيد تفكيك مقولة العقل الأخلاقي وفق آلياته المعاصرة وجاهزيات جديدة يفرضها روح العصر كالتقنية والعلم والسوق الاقتصادية."[٩٠]

وهكذا، يندد هابرماس بالحرب، مهما كانت طبيعتها، داعيا إلى سلام كوني عادل من منظور أخلاقي شامل، ليس نابعا من الضمير الداخلي كما قال كانط، بل أساسه هو التواصل الكوني العالمي، مع الجمع بين الأخلاق والإيتيقا.

المطلب السابع: مايكل وولزر

يعد مايكل وولزر(Michael Walzer) (١٩٣٥-؟)من الفلاسفة الأمريكيين المعاصرين الذين أغنوا نظرية الحرب العادلة منذ سنوات السبعين من القرن الماضي، في كتابه(**الحروب العادلة وغير العادلة**)(١٩٧٧م) ، بمفاهيم جديدة، وتصورات عميقة، حيث أعاد النظر في الحروب التي اندلعت إبان الحرب الباردة ، بتسابق الدول نحو التسليح النووي، انطلاقا من مقترب فلسفي سياسي وأخلاقي معاصر.

---

[٩٠] - سمير بلكفيف: (هابرماس والإرث الكانطي من إيتيقا الأنوار إلى إيتيقا التواصل)، **مجلة الفكر العربي المعاصر**، بيروت، لبنان، العدد٦٩، خريف ٢٠١٥م ، ص:٨٣.

ويعني هذا أن الباحث يشتغل ضمن حقل الفلسفة السياسية والأخلاقية المعاصرة، بالتركيز على موضوع الحرب والسلام الذي يتحكم في العلاقات الدولية المعاصرة.

ويرى مايكل وولزر أن الحرب فعل وحشي غير أخلاقي، لكنها أصبحت حقيقة فلسفية أنطولوجية مرتبطة بالإنسان. فلايمكن أن نتصور تاريخ البشرية بدون حروب تعقبها لحظات السلام.ومن ثم، فالحرب ظاهرة جماعية، وليست ظاهرة فردية. وإذا كان العنف يطال شخصين، فإن الحرب عبارة عن علاقات عدائية بين دولتين كما قال جان جاك روسو(Jean-Jacques Rousseau)(١٧١٢-١٧٧٨م)[٩١].

وقد اهتم مايكل وولزر بالحرب العادلة، بتناول مبدإ الحق في الحرب، وكيفية إدارة الحرب. وقد استمد هذين المفهومين من نظرية الحرب العادلة الكلاسيكية. وقد قدم تحليلا تاريخيا للحروب، مع تقديم مجموعة من الأمثلة للتثبت من مدى عدالة هذه الحروب أو عدمها.

وتقوم الحرب العادلة عند مايكل وولزر على مقومات ثلاثة هي:

❶تحديد مدى عدالة الحرب على مستوى الأسباب والدوافع والظروف التي وقع فيها التدخل العسكري.أي: هل هناك سبب عادل، وظرف عادل لهذه الحرب؟

❷تبيان نوع الوسائل المستخدمة في ذلك التدخل العسكري للحديث عن حرب عادلة؛

❸ استجلاء أهداف الحرب وغاياته القريبة والبعيدة للحديث - فعلا - عن حرب عادلة[٩٢].

ومن هنا، فالحرب العادلة هي تلك الحرب التي يكون سببها عادل، وقضيتها عادلة، وهدفها عادل، ووسائلها عادلة وأخلاقية، وتكون السلطة الشرعية الرسمية والكفأة هي صاحبة القرار لإعلان هذه الحرب.وتكون

---

91 -Victor Gourevitch, « Introduction », dans *Jean-Jacques Rousseau.* **The Social Contract andother later political writings**, Cambridge, Cambridge University Press, 1997, p. xxvi.

92 - Michael Walzer. **Guerres justes et injustes**, Paris, Gallimard, 2006, p.77.

هذه الحرب عادلة عندما تكون من أجل الصالح العام، بالفصل بين العسكريين والمدنيين، ومنع استخدام الأسلحة الفتاكة والخطيرة. وبالتالي، تكون ضرورة قصوى، فلا تستخدم إلا بعد فشل القنوات التفاوضية والدبلوماسية، وأن يكون هدفها هو تحقيق النصر والسلام.
هذا، وقد حدد مايكل وولزر مجموعة من المبادئ والقواعد التي بها نميز بين الحرب العادلة وغير العادلة، مركزا على الأهداف والوسائل والنتائج، وقد حصرها فيما يلي:
❶**سبب عادل:** أن تكون الحرب لسبب عادل ومشروع، كأن تكون دفاعا عن النفس، أو ردا لعدوان، أو إصلاحا لفساد. بمعنى أن تكون الحرب شرعية وعادلة في مضمونها وقضيتها، ولا تختلق القضية من أجل الإطاحة بنظام سياسي معين، كما فعلت ، في منظورنا، الولايات المتحدة الأمريكية عندما أعلنت الحرب على العراق في عهد صدام حسين، على أساس أن العراق يمتلك ترسانة من الأسلحة النووية، ولكنها تعرف، بشكل جيد، أنه لايملك شيئا. وبهذا، تكون هذه الحرب مجرد عدوان، وحرب غير عادلة، مادامت القضية غير مشروعة وغير عادلة. بينما غرض الحرب العادلة هو تحقيق العدل، وليس العدوان؛
❷ **غاية عادلة:** أن تكون مقصدية الحرب عادلة، كأن تكون الحرب للدفاع، أو رد العدوان، أو حماية المتضررين الأبرياء، أو رد الظلم، أو إقامة سلم عادل، فحرب الولايات المتحدة على أفغانستان هو مجرد عدوان ليس إلا، ولم يكن الهدف منها هو إحقاق الحق ، أو إبطال الباطل، بل هو تدخل في سيادة بلد آخر، وهجوم على شعب آمن، بدون أن تكون هناك مقصدية أو غاية عادلة. وينطبق هذا الحكم كذلك، في منظورنا، على الحروب الإسرائيلية الموجهة ضد فلسطين، فهدف هذه الحروب هو التوسع والسيطرة على المجال الترابي للفلسطينيين، أو تهجيرهم من بلادهم الأصلية باسم القوة والغطرسة والتجبر.وبالتالي، فهذه الحروب غير عادلة إطلاقا؛
"وما الذي تخبرنا به [مبادئ] الحرب العادلة عن أهداف الحرب؟ سبق لي أن ألححت على أنه ينبغي لأهداف وغايات الحرب أن ترتبط ارتباطا وثيقا بالحجة الأولية الأصيلة التي يبنى على أساسها قرار خوض الحرب، على نحو ما هو معبر عنه في معايير الحرب العادلة؛ أقصد رفع أو جبر ظلم

حادث، ومعاقبة المعتدين؛ ذلك أن الهدف ـ ولنذكّر بهذا مرة أخرى ـ إنما هو تحقيق وضع أشد عدلا من ذاك الذي حمل من ذي قبل على اللجوء إلى قوة السلاح. وبالأخذ بالحسبان إطار التقويم هذا الأولي الجاهز، ما الذي تتطلبه أخلاقية خروج من الحرب إذا ما تبنى المرء معايير الحرب العادلة؟[٩٣]"

ويعني هذا أن ترتبط الحرب العادلة بهدف عادل ونبيل وأخلاقي، دون ارتباطها بالأهداف القومية والمادية والنفعية الزائلة؛

❸ **الحل الأخيـــر:** ويعني هذا أن الحرب العادلة حرب للضرورة، وينبغي أن تكون هي آخر الحلول الممكنة وأسوئها، وتكون هي الوسيلة الأخيرة المحتملة، بعد استنفاذ جميع القنوات السلمية والدبلوماسية والسياسية والاقتصادية. وهذا ما وقع، في منظوري، إبان غزو العراق للكويت، فقد قدمت نصائح وتوجيهات لصدام حسين للانسحاب من الكويت، وخاصة من قبل العاهل المغربي الحسن الثاني.لكن صدام حسين تمسك بقراره العسكري، فكان غزو العراق من قبل الولايات المتحدة وحلفائها، ومحاكمة صدام حسين من قبل الحكومة الصدرية الجديدة؛

❹ **سلطة شرعية:** أن يصدر قرار الحرب العادلة عن سلطة شرعية منتخبة أو وراثية، أو هيئة حكومية معترف بها رسميا ومؤسساتيا ودوليا.أي: تكون الحرب من قرارات الدولة الحاكمة، ويعلنها الرئيس أو الأمير أو الملك أو السلطة الشرعية العليا في البلاد، وألا تكون سلطة أفراد أو جماعات معينة لها أغراض ومنافع ومصالح ما؛

❺ **أمل معقول في تحقيق النجاح:** لاينبغي إعلان الحرب العادلة إلا إذا تأكدت السلطة الحاكمة أو السلطة العسكرية المشرفة على تلك الحرب أن تحقق الانتصار.بمعنى أن تتأكد السلطة الحربية الشرعية من تحقيق الأهداف المخططة والمرجوة من خوض تلك الحرب، كأن تقضي على العدوان، أو ترد الظلم، أو تحقق السلام.أما إذا كانت الحرب ستزيد الطين بلة، وستؤجج الحقد والكراهية والعدوان أكثر فأكثر ، فمن الأحسن عدم

---

[٩٣] ـ جين بتكي ألشتاين: (الحرب العادلة وأخلاقيات المسؤولية)، **مجلة التفاهم**، سلطنة عمان، العدد:٤٢، ٢٠١٣م.

خوضها، فقد رأينا حروب الولايات المتحدة الأمريكية حروبا عدوانية تسهم في تأجيج الإرهاب والتطرف ضدها من حين لآخر.كما فشلت حملة نابليون بونابرت على مصر نظرا لسوء التخطيط والتدبير والتقويم من جهة أخرى؛

❻ **التمييز بين المدنيين والعسكريين:** ينبغي أن تميز الحرب العادلة بين المدنيين والعسكريين وفق أخلاقيات الحروب؛ لأن الحرب العادلة هي معركة بين مقاتلين عسكريين، فلا ينبغي قتل الأطفال والنساء والشيوخ والعجزة، كما هو حال النظام السوري بقيادة بشار الأسد الذي لا يميز بين المحاربين والمدنيين؛

❼ **مبدإ التناسب على مستوى النتائج:** لاينبغي أن تحدث الحرب العادلة نتائج كارثية وخيمة من أجل تحصيل مكاسب محدودة. بمعنى ألا تكون السلبيات أكثر من الإيجابيات، وتكون الخسائر أكثر من الأرباح.ويعني هذا ألا تكلف الحرب السلطة الحاكمة أو ميزانية الدولة ثمنا باهظا أو خسارة فادحة لايمكن تحملها، كما ما هو حال خسائر الولايات المتحدة في حرب الفيتنام التي خسرت ٥٧,٥٢٢ قتيل، وأطلق سراح ١٥٣,٣٠٣؛

"وهكذا - مثلا- فيما يتعلق ببعض التفاصيل الدائرة على حرب العراق، قيل لنا بأن البلد كان على شفا حفرة من حرب أهلية، ومن ثمة فإن الولايات المتحدة - وهنا تخطر المقارنة مع فيتنام على البال - منحشرة في أتون هذه الحرب الأهلية. والنتيجة التي تم التوصل إليها هي أن حضورها إنما كان من شأنه أن يجعل الأمور تسير نحو الأسوأ، وأن علينا أن ننجلي عن البلد بأسرع ما يكون، ملجئين بذلك العراقيين أنفسهم إلى التصالح فيما بينهم، حتى ولو مات منهم الآلاف المؤلفة قبل أن يتم بلوغ لحظة المصالحة تلك .

من البين بذاته أن هذا السيناريو ما أفلح. وإذا ما نحن وصفنا النتيجة بطريقة مختلفة، فإنه سوف يكون علينا أن نقول بأنه بقدر ما لم نكن نحتاج إلا إلى قليل من الفِرَق الأمريكية، فإنه ما كانت ثمة في البدء ملامح حرب أهلية تلوح في الأفق، وإنما كانت ثمة -بالأحرى- "انتفاضة" تحاول أن تستثير حربا أهلية، وأنه -في النهاية- أدى هذا الانسحاب المتسرع للفرق

الأمريكية -بالفعل- إلى قفزة كبرى نحو العنف، وأنه ما كان يمكن أن تكون ثمة -والحال هذه- "نهاية سعيدة" فيما بعد[٩٤]."

والشيء نفسه ينطبق على الحرب السورية التي أودت بأرواح عشرات الآلاف من الأبرياء والضحايا، وهجرت معظم سكان البلد خارج الحدود، بدل أن يتنازل الرئيس بشار الأسد عن السلطة لصالح الشعب؛

❽**مبدأ التناسب على مستوى الوسائل:** تستعمل الحرب العادلة الأسلحة التي تتلاءم مع الحرب.ويعني هذا ألا تستعمل الحرب العادلة أسلحة الدمار الشامل، أو الأسلحة المحرمة دوليا، أو الأسلحة النووية ، أو الأسلحة السامة.ويعني هذا ضرورة تخليق الوسائل المستعملة في الحرب.

إذاً، فلا يمكن اللجوء إلى الأسلحة الخطيرة لردع عدوان بسيط أو محدود، كما فعلت الولايات المتحدة في العراق، حيث استخدمت مجموعة من الأسلحة المحرمة دوليا للانتقام منها[٩٥].

وهكذا، يقدم مايكل وولز مجموعة من القواعد التي تنبني عليها الحرب العادلة للحد من العدوان، وتخليق الحرب من البداية حتى النهاية ، من أجل تحقيق غاية عادلة، وبوسائل عادلة.ويستثني حربين من هذه الحروب: الحرب الوقائية ذات البعد الدفاعي، و التدخل الإنساني لرفع المعاناة الإنسانية؛ لأن ذلك هو دفاع عن المثل الإنسانية العليا والمبادئ الأخلاقية المثلى.

وقد تحدث أيضا وولز عن أخلاق الطوارئ؛ إذ يمكن مقاتلة غير العسكريين لضرورة عليا أو قصوى، عندما تواجه الدولة خطرا وشيكا ومرعبا وفظيعا، يكون سببا مباشرا في هزيمة الدولة.

وتتحقق الحرب العادلة بدفع التعويض للمتضررين، بعد الانتهاء من الحرب، والاعتراف بحق تقرير المصير في حالة العدوان على سيادة بلد

---

[٩٤] - انظر: جين بتكي ألشتاين: (الحرب العادلة وأخلاقيات المسؤولية)، **مجلة التفاهم**، سلطنة عمان، العدد:٤٢، ٢٠١٣م.

[95]- Charles Benjamin :**La théorie de la guerre juste face au terrorisme et à la lutte antiterroriste** .Centre d'études des politiques étrangères et de sécurité Université du Québec à Montréal / Concordia University Série Mémoires 6 Décembre 2007 ,p :10-15.

آخر، أو العمل على نزع السلاح، والاهتمام بسياسة إعادة الإصلاح، ومحاكمة المجرمين وفق مبدإ المسؤولية الأخلاقية والجنائية.

ومن ثم، فالحرب العادلة هي حرب من أجل تحقيق العدالة، وحماية حقوق الإنسان التي لاتتغير في الزمان والمكان، كحق الحياة، وحق الحرية، إلخ...ومن ثم، فللحرب العادلة عند وولز ثلاثة أركان:

❶ عدالة الدخول في الحرب أو شن الحرب؛

❷ عدالة إدارة الحرب في أثناء خوضها؛

❸ عدالة ما بعد الحرب التي تتمثل في إقرار قواعد السلام العادل.

ومن ثم، فمبادئ الحرب العادلة هي مبادئ أخلاقية مطلقة ثابتة تنظم سلوك الإنسانية جمعاء.وبالتالي، يرفض وولز مذهب المسالمة أو مذهب العنف أو مذهب المنفعة في إدارة الحرب.وإن كان قد تأثر بمذهب المنفعة والقوة عندما أخذ بفكرة التناسب والانتقام من الأبرياء من أجل هدف أسمى من جهة، وأخذ بحالة الطوارئ والضرورة القصوى من جهة أخرى.

وقد جاءت أفكاره مدعمة، بشكل أو بآخر، للتدخل الأمريكي في كثير من مناطق العالم ، حيث لم يشجب مايكل وولز تدخلها في الشرق الأوسط سنة ٢٠٠٣م، كما كان ينطلق ، من ناحية أخرى، من تصورات يهودية وصهيونية مباشرة وغير مباشرة.

بيد أن نظرية الحرب العادلة تبقى نظرية أخلاقية وفلسفية، لايمكن تطبيقها في أرض الواقع؛ لأنه من الصعب التحكم في مجرى الحرب ومسارها من البداية حتى النهاية؛ لأن عواقبها وخيمة على جميع الأصعدة والمستويات.

المطلب الثامن: بيان المثقفين الأمريكيين

أعد المثقفون الأمريكيون بيانا بعنوان (**على أي أساس نقاتل؟**)[٩٦]، يناهضون فيه الإرهاب والتطرف والعدوان الآتي من العالم الإسلامي، بإشراف مركز القيم بالولايات المتحدة الأمريكية،وقد وقع عليه ستون مفكرا أمريكيا. ويتناول هذا البيان الصادر سنة (٢٠٠٢م) مجموعة من المحاور الأساسية التي تتمثل في التعريف بالقيم الأمريكية ومقارنتها بالقيم المضادة لها، ورصد أحداث سبتمبر وتداعياتها، والحديث عن ثنائية الإسلام والعلمانية، وتناول الحرب العادلة في مقابل الإرهاب والتطرف.
وما يهمنا في هذا البيان هو مفهوم الأمريكيين للحرب العادلة.
ينطلق البيان من أن الحرب شر وعدوان غير مقبول، ومرفوض بكل اللغات، وباسم الإنسانية.ومن ثم، فجميع الأديان والعقائد تجرم الحرب، وتعده فعلا شنيعا، وتعتبره خطأ كبيرا لا يغتفر.ومن ثم، فالسلام هو المنطلق والهدف. وفي هذا، يقول البيان:" نعترف بأن الحرب بجميع أنواعها أمر هائل، وهي في النهاية تمثل الفشل السياسي للبشر. ونعلم أيضا أن الخط الفاصل بين الخير والشر لا يمتد بين مجتمع و مجتمع، ولا بين دين ودين، ولكن هذا الخطأ يمتد في باطن قلب كل إنسان .وفي نهاية المطاف، فإن أصحاب الإيمان منا - سواء كانوا يهودا أو نصارى أو مسلمين أو غير ذلك - يعترفون بالمسؤولية الموضوعة في كتبنا المقدسة، وهي حب الرحمة، وبذل الجهد لاجتناب الحرب والتعايش بسلام"[٩٧].
ولكن الحرب العادلة مقبولة ومشروعة في بعض الأحيان، عندما تكون من أجل مواجهة الشر والعدوان والحقد والكراهية، بل يعد فعلا واجبا وضروريا للدفاع عن النفس، ورد الظلم. وفي هذا، يقول البيان:"ومع ذلك، فإنا نعلم، بمقتضى العقل، ومن خلال التأمل الدقيق في الأخلاق، أن في بعض الأحيان يكون أوّل وأهم ما يقام به لمواجهة الشر هو إيقافه ، وفي بعض الأوقات لا يكون الشروع في الحرب جائزاً فحسب بل واجباً أخلاقياً في مقابلة أعمال عنيفة هائلة ظالمة ناشئة عن الحقد والبغضاء، وهذا أحد هذه الأوقات[٩٨]."

---

[٩٦] - انظر: بيان المثقفين الأمريكيين: (على أي أساس نقاتل؟)، **معهد القيم الأمريكية**(Institute for American Values)، فبراير ٢٠٠٢من صص:١-٨.
[٩٧] - بيان المثقفين الأمريكيين: (على أي أساس نقاتل؟)، ص:٥.
[٩٨] - بيان المثقفين الأمريكيين: نفسه، ص:٥.

ومن ثم، يرفض البيان الحروب الواقعية ذات الأساس المادي البرجماتي، أو الحروب العدوانية الاستباقية القائمة على الانتقام والهجوم والاعتداء على الأبرياء المدنيين، باسم الطمع والجشع والاستغلال. وتمنع الأديان السماوية والمذاهب الدينية والعلمانية الحروب التي تندلع لأتفه الأسباب، كأن تقوم على أساس المنفعة والمصالح الشخصية ، والرغبة في الهيمنة والسيطرة ،وإظهار قوة العدة والعدد لإرهاب الآخرين. وبالتالي، لاتقوم على أساس أخلاقي عادل.وفي هذا، يقول البيان: " فكرة الحرب العادلة فكرة واسعة لها جذور في مذاهب دينية وعلمانية مختلفة تتضمن التعاليم اليهودية والنصرانية والإسلامية - مثلاً - تأملات عميقة عن تحديد الحرب العادلة. وبلا شك أن بعض الناس يجزم - باسم الواقع أحيانا - أن الحرب ميدان المصالح الشخصية أو الضرورة فلا صلة لها بالتحليل الأخلاقي، و نحن لا نتفق مع هذا الرأي فإن رفض التعبير الأخلاقي عن الحرب هو موقف أخلاقي في ذاته، وهو موقف يدعو إلى رفض دور العقل والمعيار في شؤون الدول، وقبول التهكم في أمور الحياة. إن القيام بتطبيق المنطق الأخلاقي على قضية الحرب هو بنفسه القول بإمكانية بناء المجتمع على الحياة المدنية، وبناء مجتمع عالمي على أساس العدل.

إن مبادئ الحرب العادلة تعلمنا أن الحروب القائمة على الاعتداء والاستعلاء مرفوضة بالكلية، فلا تشرع الحرب لتعزيز الوطن أو للانتقام لما مضى من الظلم أو لأخذ الأراضي أو لأي غرض آخر سوى الدفاع[٩٩]."

وقد استمد البيان قوته الحجاجية من أفكار القديس أوغسطينيوس وأفكار توما الأكويني، على أساس أن الحرب العادلة هي ضرورة واستثناء، وأن السلام هو القاعدة، ولكن عندما يكثر الظلم، ويكون هناك أمر ديني أو رباني، أو عسف قاهر في حق المدنيين والأبرياء، لابد من حرب عادلة أخلاقية للحد من العدوان، والدفاع عن الذات، ولو كان ذلك على حساب الحوار والتفاوض السلمي. وفي هذا الصدد، يقول البيان:" إن المبرر الأخلاقي الرئيس للحرب هو صيانة الأبرياء من الضرر الأكيد، لقد ألف

[٩٩] - بيان المثقفين الأمريكيين: نفسه، ص:٥.

أوغسطين كتابه المسمى (مدينة الإله) في القرن الخامس الميلادي، وهذا الكتاب له تأثير بارز في فكرة الحرب العادلة. يقول أوغسطين فيه - وهو يقرر المعنى الذي أتى به سقراط - : إن الأحسن للفرد النصراني أن يتأذى بالضرر من أن يؤذي غيره به، ولكن هل يجدر بصاحب المسؤولية الأخلاقية أن يلزم غيره من الأبرياء بترك الدفاع عن أنفسهم؟ الجواب عند أوغستين وعامة أصحاب فكرة الحرب العادلة هو أن ذلك الإلزام غير صحيح. إذا أقيمت الحجة على أن الأبرياء الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم سيصيبهم ضرر هائل إن لم تستخدم قوة قاهرة لإيقافه. في هذه الحالة يدعونا المبدأ الأخلاقي لحب الجار إلى استخدام القوة.

لا تشرع الحرب في مواجهة الخطر القليل أو المشكوك فيه ولا في مواجهة الخطر الذي يمكن إزالته بطريقة المفاوضة أو الدعوة إلى العقل أو الشفاعة أو غيرها من الطرق السلمية ، لكن عندما يكون الخطر على حياة الأبرياء خطرا حقيقيا يقينيا، فحينئذ يكون اللجوء إلى استخدام القوة مبررا أخلاقيا لا سيما عندما يكون الدافع للمعتدي هو العداوة المتصلبة حيث لا يستهدف الحوار، ولا الامتثال لأمر ما ، وإنما يهدف إلى الدمار[١٠٠]."

ويحدد البيان مجموعة من المبادئ التي تقوم عليها الحرب العادلة، كأن تعلنها السلطة الشرعية في البلاد، أو هيئة عليا تملك زمام الحكم، ولا يكون ذلك نزولا عند رغبات الأفراد والجماعات التي تدافع عن أهوائها ومنافعها ورغباتها ومصالحها الضيقة، بل تكون الحرب دفاعا عن الصالح العام. وغالبا، ما تقوم الحرب إما دفاعا عن النفس، وإما رغبة في إزالة الشر والعدوان.

ويتمثل المبدأ الثاني في عدم المساس بالمدنيين الأبرياء غير العسكريين، إلا في حالة الخطإ غير المتعمد.

أما المبدأ الثالث، فيتمثل في تأكيد حرمة الحياة البشرية. في حين، يتعلق المبدأ الرابع في الاحترام المتساوي لجميع الناس في أثناء اندلاع

---

[١٠٠] - بيان المثقفين الأمريكيين: نفسه، ص:٦.

الحرب.أي: احترام حقوق الإنسان الخاصة والعامة ، وعدم التعامل معهم على أساس العرق أو اللون أو الدين أو المذهب. وفي هذا، يقول البيان:"الحرب العادلة لا يقوم بها إلا السلطة الشرعية التي تتولى التدبير العام للشعب، و العنف الصادر من الأفراد على سبيل اغتنام الفرص أو بدون نظام لن يقبل أبدا من ناحية الأخلاق.

لا يجوز إقامة الحرب ضد غير المقاتلين ؛ الخبراء بفكرة الحرب العادلة من كل زمان ومكان ومن كل ملة سواء كانوا يهوداً أو نصارى أو مسلمين وغيرهم، يعلَموننا أن غير المقاتلين لا يجوز قصدهم بالهجوم، وعلى ذلك فإن قتل المدنيين انتقاما أو حتى بقصد ردع المتعاطفين مع المعتدين عن الاعتداء باطل من ناحية الأخلاق، ومع أن القيام بعمليات عسكرية يتوقع منها قتل المدنيين عن غير قصد أمر جائز في بعض الحالات، وفي إطار ضيق، فإن قصد المدنيين بالقتل غير جائز أخلاقياً كهدف للعملية العسكرية.

نعلم من هذا المبدأ وغيره من مبادئ الحرب العادلة أن الناس حينما يفكرون في إقامة الحرب فإنه ممكن لهم بل واجب عليهم أن يقوموا بتأكيد حرمة الحياة البشرية، وباعتناق مبدأ الاحترام المتساوي لجميع الناس، وهذه المبادئ تطالبنا بالمحافظة على الحقيقة الأخلاقية الأساسية أن من يبدو غريبا لنا بسبب الاختلاف في الجنس أو في اللسان أو في الدين - حتى الدين الذي نعتقد بطلانه - فإنهم يتساوون معنا في حق الحياة وفي حق الاحترام وفي سائر الحقوق الإنسانية، وإننا نطالب بالمحافظة على هذه الحقيقة حتى في حالة الحرب المأساوية[١٠١]."

ويقدم البيان تمثيلا للحرب العدوانية غير الأخلاقية بحرب ١١سبتمبر التي أودت بأرواح كثير من المدنيين الأمريكيين الأبرياء باسم العنف والإرهاب والتطرف، وقد قامت بها مجموعة من الحركات شبه الإسلامية المعتدية،"وفي ١١ سبتمبر قامت مجموعة من الأفراد بالهجوم المتعمد على أمريكا ، وقد استخدموا طائرات مختطفة كأسلحة لقتل أكثر من ٣٠٠٠ من مواطني أمريكا في مدة تقل عن ساعتين في مدينة نيويورك

[١٠١] - بيان المثقفين الأمريكيين: نفسه، ص:٦.

ومنطقة الجنوب الغربي من بنسيلفانيا ومدينة واشنطن، وأغلب المقتولين كانوا مدنيين ولم يكن الذين قتلوهم يعرفون عنهم سوى أنهم أمريكيون. هؤلاء الذين ماتوا في صباح ١١ سبتمبر قد تم قتلهم بالقصد وبالعدوان وبطريقة غير مشروعة، فهو بالتحديد القانوني جريمة القتل العمد العدوان، وكان من المقتولين أفراد من كل جنس ومن كل عرق بشري ومن المنتسبين إلى أكثر الأديان الكبرى، منهم من يشتغل بغسل الأواني ومنهم مدراء شركات كبيرة.

الذين ارتكبوا هذه الأعمال الحربية لم يقوموا بها بأنفسهم ولا بدون دعم من الآخرين أو لأسباب مجهولة، بل كانوا أعضاء في شبكة عالمية شبه إسلامية قائمة في أكثر من ٤٠ دولة، وهي معروفة اليوم باسم القاعدة، وهذه الجماعة بدورها إنما تمثل جزئا تنفيذيا من حركة متطرفة كبيرة شبه إسلامية، وكانت هذه الحركة تنمو منذ عشرات السنين، وفي بعض الأحيان وجدت هذه الحركة التسامح من قبل حكومات وحتى الدعم من بعضها مع أنها كانت تعلن رغبتها في اتخاذ القتل العمد العدواني وسيلة إلى تحقيق أهدافها وهو ما قد قامت به فعلاً[١٠٢]."

ويقدم البيان مجموعة من الحجج التبريرية التي دفعت هؤلاء الإرهابيين إلى ارتكاب مجزرتهم الشنيعة في حق المدنيين الأمريكيين، وأن هؤلاء المجرمين قد تعمدوا إلحاق الضرر بالمدنيين الأبرياء، على الرغم من أن الدين الإسلامي بريء منهم؛ لأنه دين المحبة والسلام والعدالة والمساواة. لكن الحركات شبه الإسلامية هي التي استعملت حربا عدوانية رهيبة للانتقام من السياسة الأمريكية. وهذا هو السبب الذي دفع الولايات المتحدة الأمريكية لتعلن حربها ضد الجماعات المتطرفة. وفي هذا، يقول البيان " نحن نستخدم لفظ الإسلام و لفظ الإسلامية لنتحدث عن أحد الأديان العالمية العظيمة الذي ينتسب إليه حوالي ألف ومائتي مليون شخص، منهم ملايين كثيرة من مواطني الولايات المتحدة ومنهم من قُتل بالعمد والعدوان في أحداث 11سبتمبر. ولا حاجة إلى ذكره - ولكننا نذكره هنا مرة واحدة بوضوح - أن أغلب المسلمين في العالم الذين يهتدون بتعاليم القرآن

[١٠٢] - بيان المثقفين الأمريكيين: نفسه، ص:٥.

مهذبون ومخلصون ومسالمون. ونستخدم العبارة شبه الإسلامي و متطرف شبه إسلامي حين نتكلم عن الحركة الدينية السياسية الغالية العنيفة التي تهدد العالم كله حتى العالم الإسلامي.

ليست هذه الحركة المتطرفة العنيفة ضد بعض السياسات الأمريكية والغربية فحسب - بل بعض موقعي هذه الرسالة ضد بعض تلك السياسات - ولكنها ضد مبدأ أساسيا للعالم المعاصر ألا وهو مبدأ التسامح الديني وهذه الحركة كذلك تضاد حقوق الإنسان الأساسية - منها حرية القيم والحرية الدينية على وجه الخصوص - المدونة بالاعتزاز في ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان والتي يجب على كل حضارة تتجه إلى ازدهار الإنسان والعدل والسلم أن تتخذها أساسا.

وهذه الحركة المتطرفة تدعي أنها اللسان الناطق للإسلام ولكنها تخالف مبادئ إسلامية أساسية. الإسلام ضد الفظائع الأخلاقية، وعلى سبيل المثال فقد ذهب علماء الإسلام المهتدون بتعاليم القرآن وسنة النبي عبر القرون إلى تحرم قصد غير المقاتلين بالقتل، وعلى وجوب توقف العمليات العسكرية على أمر السلطة الشرعية. والعلماء يجزمون بأن هؤلاء المارقين الذين يذكرون اسم الله عند قتلهم الناس اعتباطا هم خطر يهدد الإسلام وحرمته مثل تهديدهم للنصرانية ولليهودية وغيرهما من الأديان.

نحن نقر بأن الحركات التي تدعي الدينونة لها أبعاد معقدة سياسية واجتماعية وبيئية التي لا بد من الانتباه إليها. ولكن في نفس الوقت، فإن البُعد الفلسفي أمر مهم.

والفلسفة التي تبعث الحياة في هذه الحركة المتطرفة شبه الإسلامية في استخفافها بالحياة البشرية وفي نظرها إلى العالم كأنها ميدان للحرب المهلكة بين المؤمنين والكفار (سواء كان هؤلاء الكفار مسلمين غير متطرفين أو يهود أو نصارى أوهندوس أو غير ذلك) هي فلسفة تنكر الاحترام المتساوي لجميع الناس وبهذا الاتجاه هي تغدر بالدين وترفض أساس الحياة الحضارية واحتمال تعايش الأمم بسلام. وأخطر من ذلك كله أن القاتلين لعدد كبير من الناس في ١١ سبتمبر قد أظهروا - ربما لأول مرة - أن هذه الحركة تمتلك الخبرة والقابلية -بالإضافة إلى الرغبة التي

يصرحون بها - لبعث الخراب الهائل فيمن يستهدفونهم. وربما تكون في تناولهم أسلحة كيماوية وبيولوجية ونووية والاستعداد لاستعمالها. والذين ذبحوا أكثر من ٣٠٠٠ شخصا في ١١ سبتمبر ويصرحون برغبتهم في القيام بمثل هذا الفعل مرة أخرى هؤلاء يمثلون خطراً واضحاً حاضراً لجميع المخلصين في جميع أنحاء العالم لا في الولايات المتحدة فقط، وأفعالهم نموذج للاعتداء المجرد على الأبرياء وهي شر مهدد للعالم كله يقتضي استعمال القوة القاهرة لإزالته.

القتلة المنظمون بقدراتهم العالمية يهددوننا جميعاً، فإننا باسم الأخلاق العالمية للبشر مع الوعي التام بقيود ومقتضيات الحرب العادلة نقوم بتأييد قرار حكومتنا و مجتمعاتنا في القيام ضد هؤلاء بالقوة المسلحة[١٠٣]."

يتحدث البيان الأمريكي عن الحرب العادلة من منطلقات خاطئة، ووفق رؤية مجردة بعيدة عن الواقع الامبريالي الأمريكي الذي انتقده نوام شومسكي(N.Chomsky) (١٩٢٨م-؟) [١٠٤] كثيرا في جل كتاباته السياسية، ولاسيما كتابه الأخير (**السلطان الخطير: السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط**) ، على الرغم من إشادة هذا البيان بالأديان السماوية وأفكار القديس أوغسطينيوس وأفكار توما الأكويني. ويعني هذا أن البيان ينظر إلى الحرب العدوانية للمتطرفين من زاوية واحدة هي الزاوية الأمريكية، وليس من زاوية المسلمين والعالم أجمع.

ومن المعلوم أن الولايات المتحدة الأمريكية سباقة دائما، وإلى يومنا هذا، إلى العدوان والتطرف والتهديد والابتزاز والاستفزاز، باسم قوتها وجبروتها وطغيانها. فهي دائما حاضرة في العالم بأساطيلها العدوانية الضخمة، وبجيوشها الجرارة، وبأسلحتها الفتاكة، وبقواعدها العسكرية في أنحاء شتى من العالم. تهدد البشرية، وتعتدي على الشعوب الضعيفة. ونحن لا ننسى عدوانها الغاشم على ليبيا، وعدوانها على السودان، وعدوانها على العراق، وعدوانها على أفغانستان، وعدوانها على

---

[١٠٣] - بيان المثقفين الأمريكيين: نفسه، ص:٧-٨

[١٠٤] - نوام شومسكي: **السلطان الخطير: السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط،** ترجمة: جلبير الأشقر، دار الساقي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١١م.

الصومال، وعدوانها على اليمن، وعدوانها على لبنان، وعدوانها على مصر في حرب أكتوبر١٩٧٣م، وهلم جرا...
دائما، تكون سباقة إلى الانتقام، وتستغل الظروف والأحداث التي تتعرض لها، أو تختلقها من أجل ضرب الدول الضعيفة أو الآمنة من أجل تركيعها، أو الانتقام منها، أو ابتزازها ماديا ومعنويا. وبهذا، تكون حروب الولايات المتحدة الأمريكية حروبا غير عادلة، وغير أخلاقية، تقوم على خدمة مصالح آنية لاعلاقة لها بالقيم ، و لا بالديمقراطية، ولا بالليبرالية .
وأكثر من هذا فاعتداءات الجماعات شبه الإسلامية على الولايات المتحدة الأمريكية هي ، في الحقيقة، انتقام من غطرسة هذه الدولة التي كانت تقف إلى جانب إسرائيل في مواجهة الفلسطينيين الأبرياء العزل، وتعتدي على الشعوب الإسلامية الآمنة.
ونحن نندد بالإرهاب مهما كان نوعه، ومن أية جهة صدرت عنها ذلك الفعل الرهيب مهما كان دينها ومعتقدها ومذهبها، فقتل المدنيين هو جريمة لا تغتفر.ولكن يجب أن نفكر في أن العدوان قد يولد العدوان والكراهية والحقد والانتقام، وهذا الدرس لم تستوعبه الولايات المتحدة بعد إلى حد الآن.

المطلب التاسع:بيان المثقفين السعوديين

أعد المثقفون السعوديون بيانا نقديا بعنوان **(على أي أساس نتعايش؟)**[١٠٥]، يردون فيه على البيان الذي وقعه المثقفون الأمريكيون بعنوان **(على أي أساس نقاتل؟)**[١٠٦]، وما يهمنا في هذا الرد ما يتعلق بالحرب العادلة.
وينطلق البيان من أن الإرهاب ظاهرة عالمية، وليس متعلقا بدين معين، أو بمجتمع محدد، فالإرهاب لا وطن له، تعرفه الشعوب الإسلامية، كما تعرفه الشعوب الغربية، بل عرفته كذلك المسيحية واليهودية.لذا،فلا داعي لاتهام الإسلام بالتطرف والإرهاب.علاوة على ذلك، يمكن الحديث عن أنواع عدة من التطرف، كالتطرف السياسي، والتطرف الاقتصادي، والتطرف العسكري، والتطرف الإعلامي، والتطرف الاجتماعي...وقد

---

[١٠٥] - المثقفون السعوديون: (بيان المثقفين السعوديين: على أس أساس نتعايش؟)، **صحيفة اليوم**، ١١ سبتمبر ٢٠٠٢م، ص:٣.
[١٠٦] - انظر: بيان المثقفين الأمريكيين: (على أي أساس نقاتل؟)، **معهد القيم الأمريكية**(Institute for American Values)، فبراير ٢٠٠٢م، صص:١-٨.

يكون هذا التطرف نتاج الظلم، وغياب المساواة والحرية وتكافؤ الفرص، وتوزيع ثروات الأرض توزيعا غير عادل.فهناك الغرب الذي يعيش في الرفاهية، والعالم الثالث الذي يعيش في الفقر والبؤس والبطالة. وفي هذا، يقول البيان:" إن الغرب يتحدث كثيراً عن مشكلة الإرهاب والتطرف، ومن وجهة نظرنا فإن هذه مشكلة جادة في العالم، ويفترض أن تكون هنالك مشاريع متعددة لمعالجتها، لكننا نود التأكيد على الحقائق التالية، التي يبدو لنا أنها عقلانية قبل كل شيء:

الحقيقة الأولى: أن التطرف ليس خاصاً بالمفهوم الديني، بل ثمة أشكال من التطرف السياسي والاقتصادي والإعلامي يفترض أن تحظى بنفس الاهتمام لأنها تمارس مصادرة لمبادئ الأخلاق وأنظمة الحقوق في العالم.

وأيضاً فإن التطرف الديني ليس مرتبطا بديانة معينة، وإن كنا نعترف بأشكال متطرفة مرتبطة ببعض المسلمين كغيرهم؛ لكننا على وعي أن كل التجمعات الدينية في العالم يوجد فيها أشكال متطرفة، وقرّاء الفكر والديانات والثقافات يَعُون هذه الحقيقة. إنه ليس من العقل ولا العدل الإلحاح غير العقلاني على قضية التطرف الإسلامي وصناعة مشروع الاستفزاز لـه دون المعالجة الحقوقية لكل أشكال التطرف في العالم الديني وغير الديني.

الحقيقة الثانية : حين نؤمن أن العالم يواجه مشكلة الإرهاب والتطرف بالمفهوم الشامل الذي ذكرناه، فكذلك ينبغي أن نقدر أن ثمة مجموعة من المشاكل يواجهها العالم في: الحقوق، والحريات، والأوليات الإنسانية (التعليمية، والصحية، والغذائية، والأخلاقية) يفترض أن تحظى باهتمامنا.

إننا على إدراك أن كثيراً من التجمعات الإسلامية المتشددة -كما توصف - لم تُرِد أن تكون كذلك في أولى خطواتها ؛ لكنها وضعت في هذه الدائرة تحت سلطة سياسية، أو عسكرية، أو إعلامية تلاحقها وتحاصر قنواتها في التعبير السلمي،و تمتلك إلغاء فرص الاعتدال، وضرب نظام الحقوق، وهذا هو الدافع الأكبر للتشدد في التجمعات والحركات الإسلامية. ونحن

على إدراك أن هذا التشكيل يقع اليوم تحت رعاية المشروع الغربي نفسه باسم (مكافحة الإرهاب)[١٠٧]."

ومن الأسباب الأخرى التي تؤدي إلى التطرف والإرهاب عدم إحساس الإنسان بالأمان والاستقرار.ناهيك عن غياب حقوق الإنسان، والإحساس بمرارة الواقع وفظاظته التي تدفع الإنسان إلى التصرف بطريقة غير أخلاقية أو غير عادلة. ومن هنا، فالتطرف هو نوع من رد الفعل الطبيعي والمعقول على الفعل العدواني العنيف الذي يمارس ضد هذا الإنسان المحروم من الاستقرار الهادئ والسليم والمطمئن:" إن الاستقرار أساس الحقوق والحرية في العالم؛ وحين نحرم الناس من الاستقرار، ونفرض عليهم أن يعيشوا في دوامة من القلق والقهر والضيم، فإنهم قد يتصرفون بطريقة غير أخلاقية، والواقع المرّ هو الذي يصنع القرارات، بل هو الذي يصنع الفكرة أحياناً. وحين ينتظر الناس طويلاً قبل أن ينالوا شيئاً من حقوقهم، فمن المرجح أنهم سيتصرفون في فترة الانتظار بطريقة يصعب التنبّؤ بها أو تقدير عواقبها[١٠٨]."

ومن ثم، يدعو البيان الغربيين إلى الانفتاح على الإسلام وواقعه المعاصر معا من أجل استيعاب خصوصياته الثقافية والدينية والحضارية، والتعامل مع المسلمين معاملة حسنة، في إطار ما يسمى بالسلام العادل:" إننا ندعو إلى انفتاح جاد من الغرب على الإسلام، وقراءة مشاريعه، والتعامل بهدوء مع الواقع الإسلامي، وأن يُجري الغرب مراجعة جادة في الموقف من الإسلام، وندعوه كذلك إلى فتح قنوات حوار بين النخب المثقفة الممثلة لتيار الإسلام العريض وبين المفكرين وصناع القرار في الغرب.

من المهم أن يدرك الغرب أن غالبية الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي وغيره تمتلك قدراً ذاتياً من الاعتدال، من المهم المحافظة عليه، وفرض نظام الحقوق لهذه المجموعات العاملة بهدوء، وعدم صناعة

---

[١٠٧] - المثقفون السعوديون: (بيان المثقفين السعوديين: على أس أساس نتعايش؟)، **صحيفة اليوم**، ١١ سبتمبر ٢٠٠٢م.

[١٠٨] - المثقفون السعوديون: (بيان المثقفين السعوديين: على أس أساس نتعايش؟)، **صحيفة اليوم**، ١١ سبتمبر ٢٠٠٢م.

الاستفزاز أو السماح به من أي طرف وتحت أي مبرر ؛ حتى يمكن مراجعة التصرفات بعقلانية وأمانة. إننا معنيون بالحملة على الإرهاب سواءً أتى من مسلمين أو غير مسلمين لكن ما دام الأمر مستنداً إلى قيم وأخلاقيات فلماذا لم يُذكر المتطرفون الآخرون؟ ولماذا لم يذكر الفلسطينيون الذي يتعرضون وبخاصة هذه الأيام لأبشع أنواع الإرهاب من هدم المدن والمخيمات والقتل الجماعي والحصار الخانق للمدنيين الأبرياء ، وكل ذلك لا يمارسه ضدهم أفراد أو منظمة سرية بل دولة عضو في الأمم المتحدة، هي دولة إسرائيل.

وإذا كان الهدف استئصال الإرهاب من جذوره فإن الوسيلة الملائمة ليس الحرب الشاملة بل السلام العادل وهذا ما يبحث عنه العالم في فلسطين وغير فلسطين. إن الإرهاب بالمعنى الاصطلاحي الشائع اليوم إنما هو صورة واحدة من صور الاعتداء الظالم على الأنفس والممتلكات، وإنه لمن العمى الأخلاقي أن يركز على صورة واحدة من صور الاعتداء الظالم ويغض الطرف عن صورها الأخرى حتى لو كانت أكثر بشاعة وأكثر إزهاقا للنفوس وإفسادا في الأرض، بطريقة انتقائيةٍ ، ذات معيار مزدوج.

الحقيقة الثالثة: إن افتعال الصراع لا يصنع الأفضل بالضرورة لأي من الطرفين المتصارعين، والذين يمثلون الصراع ليسوا دائماً هم الأفضل لتمثيل هذا التجمع أو ذاك[١٠٩]."

و يدعو البيان كذلك إلى ضرورة الالتزام بالأخلاق، والاحتكام إلى العدل، ورعاية الحريات الخاصة والعامة، واحترام حقوق الإنسان، وعدم الاعتداء على الآخرين عسكريا وإعلاميا. ومن هنا، فقد أصبح الغرب بصفة عامة، والولايات المتحدة بصفة خاصة، تهدد الأمن والسلم الدوليين، بالدخول في صراعات ومعارك وحروب غير عادلة، وغير أخلاقية، كما يتجلى ذلك واضحا في أفغانستان والعراق وفلسطين - مثلا-، وهذا كله يولد العنف والكراهية والحقد والرغبة في الانتقام من المعتدي.

---

[١٠٩] - المثقفون السعوديون: (بيان المثقفين السعوديين: على أس أساس نتعايش؟)، **صحيفة اليوم**، ١١ سبتمبر ٢٠٠٢م.

ويكمن الحل في الحوار والانفتاح وتبادل الآراء بين النخب المثقفة شرقا وغربا.وفي هذا، يقول البيان:" ولا شيء يبعد شبح الصدام كما يفعله العدل ورعاية الحقوق والالتزام بالقيم والأخلاق حتى في الحروب إذا اضطررنا إليها. إن إدارة الصراع في التجمعات الغربية تنطلق من رعاية المصالح القومية إن لم نقل الفئوية والمحافظة عليها ولو على حساب حقوق الآخرين، والحق أن هذه السياسة هي التي تصنع التهديدات الخطيرة للأمن المدني ليس للغرب فحسب، بل للعالم كله، فضلاً عن كونها تصنع الأوضاع المأساوية اللاإنسانية. ورجال إدارة الصراع في العالم إنما يستعدون الجماهير ضدهم بقراراتهم وسياساتهم، ويجب أن نقوم في دائرة العلم والفكر بمراقبة هذه التصرفات، والمحافظة على مجتمعاتنا المدنية وحقوقها وأمنها المدني. ويجب أن ندرك أن سيطرة إدارة الصراع في العالم ستقود لصناعة الأسوأ للواقع وللأجيال القادمة التي ستواجه آثار حساباتنا الخاصة. نعم ! علينا أن نتفاءل، لكن علينا - أيضاً - أن نكون واضحين في مراقبة التصرفات وإدراك آثارها.

لقد بات الأمن المدني مهدداً في العالم في ظل التسابق للصراع ورسم مشاريعه .

ودورنا أن نتجاوز الشعارات وندرك أن إدارة الصراع في الغرب وفي الولايات المتحدة بالدرجة الأولى تمارس تقويضاً للأمن المدني في العالم باسم مكافحة الإرهاب، وأعداد الضحايا المدنيين في أفغانستان جراء القصف الأمريكي تتزايد وذلك - في الواقع - أشبه ما يكون بتوفير الأجواء وإعطاء المبررات الجديدة لمزيد من المصادمات هنا وهناك، ولئن كان الغرب يعتبر أحداث الحادي عشر من سبتمبر تتجه لزعزعة الأمن المدني في الغرب فمن الممكن أن نشاركه الشعور وحتى الموقف في رفض ضرب الأمن المدني في العالم، لكن من المهم أن يدرك الغرب أن الأمن المدني في العالم الإسلامي لم يشهد استقراراً من عقود كثيرة، وكثير من التعويق للأمن المدني كان تحت مظلة الغرب ، وربما ممارساته المباشرة. آنَ أنء يدرك الغرب أن استخدام دائرة القوة العسكرية أو الإعلامية لا يعطي ضماناً صادقاً للمستقبل، فكثيراً ما تتجه الأمور بأشكال مفاجئة

وغير خاضعة لقانون الحسابات، وكأن أحداث الحادي عشر من سبتمبر تختصر مسافات واسعة في هذه المعادلة.

ولذا فإن إيجاد مساحة أوسع للحوار، وتبادل الرأي يلتقي فيها أهل الفكر والعلم والثقافة هي - من وجهة نظرنا - البديل للغة العنف والتدمير، وهذا هو دافعنا لكتابة هذه الورقة وإدارة هذا الحوار[١١٠]."

بيد أن الدافع إلى الصراع والإرهاب والتطرف لايكمن دائما في العدوان الغربي فحسب، بل حتى الأنظمة العربية المستبدة الجائرة، وخاصة العسكرية منها، تكون سببا حقيقيا وراء هذه الممارسات اللاأخلاقية الشاذة، وتكون الدافع الرئيس لمجموعة من السلوكيات الإرهابية المتطرفة المحسوبة على الإسلام، والإسلام بريء منها. ولو توفر العدل في الدول العربية والإسلامية لما وجدنا هذه الظاهرة الشاذة والغريبة عن أمتنا التي تودي بالأبرياء، وتسهم في خراب المجتمعات وانحطاطها باسم الانتقام والحقد والكراهية.

وفي الأخير، يمكن القول: إن ثمة مجموعة من النظريات التي تناولت الحرب العادلة، كالنظرية الواقعية، والنظرية الأخلاقية، والنظرية المسالمة، والنظرية الليبرالية، والنظرية النقدية... وتبقى النظرية الواقعية أكثر انتشارا في المجال السياسي والقانوني والحربي.
ومن ناحية أخرى، فهناك مجموعة من التصورات المختلفة والمتنوعة التي حاولت النظر إلى الحرب العادلة، إما في ضوء اللاهوت كما عند القديس أوغيسطينيوس والقديس توما الأكويني، وإما في ضوء الفلسفة السياسية كما عند هوبز، ومكيافيلي، وكانط، وهابرماس، وإما في ضوء القانون المعاصر كما عند مدرسة سالامانكا وهيجو كروسيوس، وإما في ضوء العلاقات الدولية المعاصرة كما عند مايكل وولزر...

---

[١١٠] - المثقفون السعوديون: (بيان المثقفين السعوديين: على أس أساس نتعايش؟)، **صحيفة اليوم**، ١١ سبتمبر ٢٠٠٢م.

الفصل الثالث:
الحرب العادلة بين الإسلام والأنظمة الوضعية

لايمكن الاكتفاء بالحرب العادلة باعتبارها تصورات ومفاهيم ونظريات مجردة فحسب، بل لابد من معرفة خصوصيات هذه الحرب في منظور الإسلام والأنظمة الوضعية المعاصرة التي تحتكم إلى القوة والعنف والقوانين القضائية والدولية ، وفق مصالح وأغراض ونوايا ومنافع محلية ووطنية وقومية ، أو وفق مصالح سياسية واقتصادية واجتماعية معينة، لاصلة لها بالأخلاق والمثل العليا، ولا علاقة لها بالضمير الأخلاقي الداخلي كما عند كانط، أو العقل التواصلي الكوني كما عند هابرماس.ومن هنا، نقدم مقارنة مقتضبة بين الإسلام والقوانين الوضعية فيما يخص الحرب العادلة على النحو التالي:

المبحث الأول: الإسلام والحرب العادلة

إذا كنت اليهودية والمسيحية تدعوان إلى حرب غير عادلة ، كما يبدو ذلك جليا في الحروب الصليبية(المسيحية)، وقتل الرسل والأنبياء(اليهودية)، فإن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يدعو إلى الحرب العادلة[١١١] وفق أسس الشريعة الإسلامية، والفضيلة الربانية، وهذا ما أثبته، بشكل أو بآخر، جون كيسلي(John Kelsay) في كتابه **(مسألة الحرب العادلة في الإسلام)**[١١٢].

ومن ثم، يعد الإسلام الدين السماوي الوحيد الذي شرع الحرب العادلة ضرورة واستثناء وفق مقترب أخلاقي وأخروي، على الرغم من كونه دين السلم والسلام.ويعني هذا أن الإسلام دين يمقت الحرب والدمار والخراب ، كما قال الله تعالى: "وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْـمُعْتَدِينَ"[١١٣].

---

[١١١] - جون كيسلي: **مسألة الحرب العادلة في الإسلام**، ترجمة رلى ذبيان، ومراجعة رضوان السيد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩م.

[112] - John Kelsay, **Arguing the Just War in Islam** (Harvard University Press, 2007),

[١١٣] - سورة البقرة، الآية ١٩٠، **القرآن الكريم**، برواية ورش عن نافع.

وقال الرسول ﷺ لصحابته رضوان الله عليهم:" لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ"[١١٤].

ومن هنا، تستند الحرب العادلة في الإسلام إلى مجموعة من القواعد والضوابط الأخلاقية التي يمكن حصرها فيما يلي:

❶**الحرب في سبيل الله:** تكون الحرب في الإسلام وفق عناية ربانية، ومشيئة إلهية، وتكون في سبيل الله، وليس من أجل تحقيق أغراض دنيوية زائلة.وفي هذا، يقول الله جل شأنه:" وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْـمُعْتَدِينَ." [١١٥]

ويعني هذا أن القتال يكون في سبيل الله، بإعلاء كلمة التوحيد، ورد الظلم، وصد العدوان.

ومن باب العلم، فقد وردت كلمة قتال في القرآن الكريم، بمختلف مشتقاتها الصرفية، مائة وسبعين(١٧٠) مرة.في حين، وردت كلمة حرب بمختلف مشتقاتها في ست آيات كريمة. بينما وردت كلمة الجهاد بمختلف تصريفاتها في سبع وعشرين آية قرآنية كريمة. وبالتالي، فالقرآن يتحدث عن القتال أكثر مما يتحدث عن الحرب والجهاد. ويعني هذا أن القتال في الإسلام هو ضرورة دفاعية وردعية ووقائية، وليست وسيلة هجومية أو عدوانية أو انتقامية.

و يعد المجاهد المقتول في الحرب الإسلامية العادلة شهيدا مباركا، ينال عند الله جزاء أخرويا كبيرا. وبالتالي، فشهداء الحق عند الله أحياء، وليسوا أمواتا مصداقا لقوله تعالى: " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل

---

[١١٤] - البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى: كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخَّر القتال حتى تزول الشمس (٢٨٠٤) واللفظ له، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء (١٧٤٢).

[١١٥] - سورة البقرة، الآية ١٩٠، **القرآن الكريم**، برواية ورش عن نافع.

أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ، الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ،الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ،إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين[١١٦]."

ويقول الله تعالى:"إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فَيَقْتُلون ويُقْتَلون"[١١٧].

ويقول أيضا: "لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضَّرر، والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فَضَّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ... وفَضّلَ الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً"[١١٨].

ويقول كذلك: "يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون"[١١٩].

يتبين لنا، من خلال هذه الآيات الكريمة، أن الله يعد المحاربين الشهداء بالخلود الأبدي، وجنة الرضوان، والفردوس البهي، والنعيم السرمدي؛

❷ **القضية الشرعية العادلة:** تكون الحرب في الإسلام دفاعا عن النفس، أو درءا لعدوان، أو إصلاحا لفساد، أو مواجهة لظلم فظيع. وفي هذا، يقول

---

[١١٦] - سورة آل عمران، الآيات:١٦٩-١٧٠-١٧١-١٧٢-١٧٣-١٧٤، **القرآن الكريم**، برواية ورش عن نافع.

[١١٧] - سورة التوبة، الآية ١١١، **القرآن الكريم**، برواية ورش عن نافع.

[١١٨] - سورة النساء، الآية٩٥، **القرآن الكريم**، برواية ورش عن نافع.

[١١٩] - سورة الصف، الآيات:١٠-١١، **القرآن الكريم**، برواية ورش عن نافع.

الله تعالى: " أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ."[١٢٠]

وقد ربط الله القتال - هنا- برد الظلم ودفعه، عندما أخرج الكفار المسلمين من ديارهم بغير وجه حق، سوى أن قالوا كلمة التوحيد التي آمنوا بها، واقتنعوا بفحواها يقينا وصدقا وحقيقة. وبسبب ذلك، يعدهم الله بالنصر القريب؛

❸ **الهدف الأسمى من الحرب:** إن الهدف الأسمى من الحرب هو إعلاء كلمة الله العليا، والقضاء على جبابرة الأرض الذين يستعبدون شعوبهم الضعيفة والآمنة، والدفاع عن النفس،ورد الظلم، وصد العدوان، وليس الهدف هو الحصول على الغنائم ، كما يدعي بعض المتقولين الخاطئين، أو الهدف هو السيطرة على الدول والشعوب الآمنة، أو تحقيق المنافع والمكاسب الدنيوية الزائلة، أو التوسع على حساب البلدان والدول المجاورة أو النائية. بل الهدف سام جدا، يتمثل في نشر كلمة التوحيد بين الناس كافة، بالسبل الأخلاقية الرفيعة من أجل الدخول في الإسلام لدرء الفتن ، وهدايتهم إلى سبيل الرشاد. وفي حالة الرفض، يدفع الممتنعون أو الرافضون الجزية للدولة التي تحميهم في أرواحهم وممتلكاتهم من أي اعتداء غاشم محتمل ومرتقب. وإذا لم يقبلوا بذلك، فلابد من مقاتلتهم حتى يخضعوا للأمر.وهذا كله من أجل حكمة ربانية تتمثل في إخراجهم من الضلالة إلى النور والهداية.وفي هذا، يقول الله تعالى: "وَقَاتِلُوا الْـمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً[١٢١]."

وقال أيضا:" أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ."[١٢٢]

---

[١٢٠] - سورة الحج، الآيتان:٣٩-٤٠، **القرآن الكريم**، برواية ورش عن نافع.
[١٢١] - سورة التوبة، الآية ٣٦، **القرآن الكريم**، برواية ورش عن نافع.
[١٢٢] - سورة التوبة، الآية ١٣، **القرآن الكريم**، برواية ورش عن نافع.

ومن هنا، فأهداف الحرب في الإسلام أهداف عادلة وسامية ونبيلة، ولا علاقة لها بالمصالح والأغراض الوطنية أو القومية أو البرجماتية؛

❹ **تخليق الحرب:** يرفض الإسلام، بشكل مطلق، في حربه العادلة، قتل المدنيين والنساء والأطفال والشيوخ والعجزة، و حرق الزرع، و قلع الأشجار، و تسميم المياه، وقتل المتعبدين من اليهود والنصارى، وقتل العاملين من الفلاحين والصناع. ولا يكون القتال جائزا إلا في حالة الدفاع عن النفس. وقد قال أبو بكر رضي الله عنه وصية رائعة لجنود الإسلام قبل فتح بلاد الشام (١٢ هجرية)، تعبر عن دماثة أخلاقيات الحرب الإسلامية العادلة:" قال: يا أيها الناس، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى: لا تخونوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع؛ فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإن أكلتم منها شيئاً بعد شئ فاذكروا اسم الله عليها. وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفقوهم بالسيف خفقاً. اندفعوا باسم الله، أفناكم الله بالطعن والطاعون[١٢٣]."

إذاً، يرفض الإسلام الخيانة والخداع والمكر ونقض العهود والمواثيق في الحروب. كما ينهى عن المغالاة في استخدام العنف، أو التشديد في مبادئ الإسلام. ويدعو كذلك إلى حماية المدنيين الأبرياء العزل، والحفاظ على البيئة، والحث على التسامح الديني، والجنوح نحو السلم والعفو والصفح، وعدم إكراه اليهود والنصارى على الدخول في الإسلام بقوة السيف.

---

[١٢٣] - محمود شريف بسيوني: **الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان**، المجلد الثاني، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣م.

ويمنع الإسلام القتال في الأشهر المحرمة، وفي مناسبات العيد مصداقا لقوله تعالى:" "فإذا انسلخ الأشهر الحُرُم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كلَّ مرصدٍ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فخَّلوا سبيلهم إنَّ الله غفورٌ رحيمٌ[١٢٤]".

ويعني هذا أن الحرب في الإسلام هي حرب عادلة بامتياز، تخضع لضوابط الشرع القرآني والنبوي، وتهدف إلى احترام حريات الإنسان وحقوقه الخاصة والعامة، والحفاظ على كرامته وآدميته الإنسانية قبل الحرب، وفي أثناء شنها، وبعد الانتهاء منها؛

❺**السلم قبل الحرب:** يعطي الإسلام الأولوية دائما للتفاوض والحوار والإقناع والاقتناع والسلم والسلام، قبل خوض الحرب وإعلانها في حالة الضرورة القصوى .وفي هذا، يقول الله عز وجل: " وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم[١٢٥]".

ويعني هذا أن الأولوية تعطى دائما للسلام قبل بدء الحرب التي يخوضها المسلمون ضرورة وإكراها واستثناء من أجل الدفاع عن النفس، أو رد الظلم، أو صد العدوان، أو الدعوة إلى توحيد الله درءا لكل فتنة هوجاء مميتة ومهلكة؛

❻ **الإسلام دين السلام:** سمي الإسلام بهذا الاسم العظيم؛ لأنه دين السلم والسلام، حتى سمى الله نفسه بالسلام مصداقا لقوله الكريم:" هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القُدّوس السَّلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبِّر سبحان الله عما يُشركون.[١٢٦]"

---

[١٢٤] - سورة الأنفال، الآية ٦١، **القرآن الكريم**، برواية ورش عن نافع.
[١٢٥] - سورة التوبة، الآية ٥، **القرآن الكريم**، برواية ورش عن نافع.
[١٢٦] - سورة الحشر، الآية ٣٢، **القرآن الكريم**، برواية ورش عن نافع.

إذاً، فالسلام هو من الأسماء الحسنى للذات الربانية، على أساس أنه دين المحبة والمودة والتسامح والحياة، وليس دين حرب وقتال وسفك للدماء، كما يقول أعداء الإسلام في أطروحاتهم الخاطئة.

وأكثر من هذا فالإسلام دين المعاملة الحسنة كما في قوله تعالى:"ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ[١٢٧]". كما أنه دين العفو والتصافح والتسامح والتفاهم، كما في الآية الكريمة :" فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ.[١٢٨]"

وهكذا، يتبين لنا أن الإسلام دين سلام، قبل أن يكون دين حرب وقتال وجهاد.ولايعني الجهاد-هنا- بمعنى الحرب، بل يعني بذل الجهد والطاقة والصبر لملاقاة العدو ؛ لما في الحرب من مشقة وعسر وخطورة.

المبحث الثاني: الحروب المعاصرة بين القــوة والأخلاق

من المعلوم أن الحرب بمثابة عنف وعدوان وانتقام واعتداء على الآخرين بدون سبب شرعي، أو هي اعتداء دولة على دولة أخرى.

وقد شهدت الإنسانية حروبا عدة عبر التاريخ، منذ أن خلق الإنسان فوق البسيطة. ومازلنا نتذكر حروب أثينا مع الفرس من جهة، وإسبرطة من جهة ثانية.

ومازلنا نتذكر أيضا حروب الرومان مع قرطاجنة، وحروب الأمازيغ مع الرومان من ناحية، وحروبهم مع الوندال والبيزنطيين من ناحية أخرى؛ وحروب المسلمين مع كفار قريش، وبلاد فارس، وجيش الروم.

وما زلنا نتذكر كذلك حروب العصور الوسطى بأوروبا الغربية، وحرب المائة سنة ، وحروب لويس الرابع عشر، وحروب نابليون

---

[١٢٧] - سورة فصلت، الآية ٣٤، **القرآن الكريم**، برواية ورش عن نافع.
[١٢٨] - سورة المائدة، الآية ١٣، **القرآن الكريم**، برواية ورش عن نافع.

بونابرت[١٢٩]، وحروب التوسع الاستعماري الغربي في معظم مناطق العالم...

ومن ثم، يعد القرن العشرين قرن الحروب بامتياز، فقد ازدادت حروبه قسوة وفظاعة و شراسة، وأخص بالذكر الحربين العالميتين ؛ إذ استعملت في هذه الحروب أسلحة فتاكة لم يعهدها الإنسان من قبل، كالدبابات، والطائرات، والغواصات، والقنابل الذرية ، والأسلحة السامة، والقنابل العنقودية، والأسلحة المحرمة دوليا...

ناهيك عن الحروب الاستعمارية التي أودت بالكثير من الأرواح البريئة، وحروب المقاومة من أجل نيل الاستقلال، والحروب الإيديولوجية بين المعسكر الغربي والمعسكر الشرقي، أو ما يسمى أيضا بالحرب الباردة، كما يظهر ذلك جليا فيما نشب بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية من حروب باردة حول ألمانيا الشرقية، وكوبا، والفيتنام، وأفغانستان، وكوريا الشمالية، ويوغوسلافيا، ودول أفريقيا والعالم الثالث بصفة عامة. دون أن ننسى الحروب العرقية أو العنصرية، والحروب الدينية، والحروب الطائفية، وحروب الإرهاب والتطرف، والحروب العدوانية الاستباقية، والحروب الحضارية[١٣٠] والثقافية[١٣١] والإعلامية والاقتصادية[١٣٢]، وحروب الصور...

---

129 -Christian MELLON, « Que dire de la "guerre juste" aujourd'hui ?», **Actualiser la morale**, Cerf, Paris, 1992, pp. 197 214.

١٣٠ - المهدي المنجرة: **الحرب الحضارية الأولى**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثامنة ٢٠٠٥م.

١٣١ - صموئيل هنتنغتون: **صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي**، ترجمة: مالك عبيد أبو شهيوة ومحمود محمد خلف، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ليبيا، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩م، وإدوارد سعيد: **الاستشراق: المعرفة، والسلطة، والإنشاء**، ترجمة: كمال أبوديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة ٢٠٠٥م.

١٣٢ - فرانسيس فوكوياما: **نهاية التاريخ والإنسان الأخير**، ترجمة: فؤاد شاهين، وجميل قاسم، ورضا الشايبي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، طبعة ١٩٩٣م.

وكان الطمع، والجشع، والغرور، والتعصب، والانتقام، والحقد، والعدوان، والكراهية، و الرغبة في الهيمنة... من الأسباب التي ساهمت في اندلاع الحروب بين الدول والشعوب.وترى وثيقة التسامح الصادرة عن اليونسكو أن التعصب هو السبب الحقيقي وراء الحروب في العالم:" الجواب الوحيد المتوفر حاليا هو أن التعصب يتصاعد في كل مكان،ويحدث المآسي الجسام على نطاق جماعي.فلطالما أثار مسائل معنوية إلى جانب المسائل السياسية التي أثارها في التسعينيات.وأصبح ينظر إلى التعصب أكثر فأكثر كتهديد خطير للديمقراطية والسلام والأمن.ومن الطبيعي أن تقض هذه المسألة مضاجع الحكومات والشعوب إلا أن أي نقاش لموضوع التعصب يطرح أسئلة أكثر بكثير مما يقدم أجوبة.

وغني عن القول: إن التعصب محفور في تاريخ البشرية، فهو أشعل فتيل معظم الحروب، وغذى الاضطهادات الدينية والمواجهات الإيديولوجية العنيفة.فهل هو كامن في طبيعة الإنسان؟ وهل يمكن تخطيه؟ وهل يمكن تعلم التسامح؟ وكيف تستطيع الديمقراطيات معالجة التعصب، ولا تقيد سلوك مواطنيها؟ كيف يمكن تحقيق التعدد الثقافي السلمي؟".[١٣٣]

وما يلاحظ على هذه الحروب أنها حروب مادية برجماتية، بلا قيم ولا أخلاق، تستند إلى منطق المنفعة والابتزاز، وفق مقولة ميكيافيلي:" الغاية تبرر الوسيلة". وقد استخدمت فيها أسلحة الدمار الشامل التي حرمتها الأديان السماوية كافة، ولم تعد هذه الحروب ذات منطلقات شرعية أو دينية أو أخلاقية، بل هي حروب دموية فظيعة ، بلا أخلاق، ولا دين.

ومن هنا، فالحروب التي يخوضها الغرب،وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية[١٣٤] ، ضد الدول العربية أو الدول المارقة ، حسب رأيها، هي

---

[١٣٣] - اليونسكو: **وثيقة التسامح اليونسكو**، سنة ١٩٩٥م، ص:٣.

[134] - Bruno Tertrais ***: La Guerre sans fin. L'Amérique dans l'engrenage,*** Paris, Seuil, 2004.

حروب غير عادلة، وغير شرعية، وغير قانونية، بل يراد بها استنزاف ثروات هذه البلدان وابتزازها. وبالتالي، فهي حرب ثقافية وحضارية وصدامية ودينية ، هدفها تحقيق المنافع والمصالح المادية على حساب الشرعية والأخلاق والفضيلة الإنسانية[١٣٥].

وقد أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية، منذ سنوات التسعين من القرن الماضي ، وخصوصا بعد حادث ١١سبتمبر ٢٠٠١م، عن نيتها العدوانية المبيتة لمواجهة دول الشر والإرهاب والعدوان والتطرف، مثل: كوريا الجنوبية، وباكستان، وأفغانستان، وليبيا، وإيران، والعراق، وكوبا، وفنزويلا، والسودان؛ وأيضا مواجهة الجماعات الإرهابية المتطرفة كداعش، والإخوان المسلمين، وحزب الله، و جبهة النصرة، والجماعات الإسلامية التي تنشط في الصومال، وسوريا، والعراق، وليبيا، وأفريقيا الشمالية...باسم النظام الدولي الجديد القائم على العولمة، والعلمانية، والتنافس الحر، والأمركة...

بيد أن الولايات المتحدة الأمريكية قد حذفت، مؤخرا، من لائحة الإرهاب مجموعة من الدول، بعد أن ابتزتها سياسيا، وعسكريا، واقتصاديا...، كباكستان التي تعاونت معها للقضاء على أسامة بن لادن، وأفغانستان بعد غزوها عسكريا، والعراق بعد غزوها سنة ٢٠٠٣م، وليبيا بعد تنفيذ معمر لقذافي جميع الشروط التي استوجبتها الإدارة الأمريكية.

---

[135]- James Turner Johnson, **The War to Oust Saddam Hussein : Just War in the Face of New Conflict,** Lanham, Rowman and Littlefield Publishers, 2005, p. 142. Sur l'importance de Johnson, voir le dossier spécial consacré à son uvre dans le *Journal of Military Ethics*, vol. 8, no 3, 2009.

وقد نددت الولايات المتحدة الأمريكية بمحور الشر، على لسان الرئيس جورج بوش(George Walker Bush)، في ٢٩يناير ٢٠٠٢م، وحصرته في كوبا، والسودان، وفنزويلا[١٣٦].

وقد انتقد نوام شومسكي(Noam Chomsky) كثيرا السياسة الأمريكية غير الأخلاقية في تعاملها مع الحروب الدولية[١٣٧]، ساخرا من ديمقراطيتها الزائفة، ومنددا بتوسعاتها الإمبريالية الجائرة في أمريكا اللاتينية، وأفريقيا، والشرق الأوسط، والفيتنام...[١٣٨] . كما انتقد سياستها التوسعية العسكرية والاقتصادية التي تستهدف السيطرة على العالم والهيمنة عليه بشتى السبل القذرة، وأبشع الوسائل ، ولو كان بسفك الدماء الطاهرة، والاعتداء على الشعوب الآمنة ، وقتل المدنيين الأبرياء ، كما هو شأنها مع الفيتنام، والعراق، واليابان...

المبحث الثالث: هل توجد حروب عادلة وغير عادلة؟

ينص القانون الدولي المعاصر، وفق مواثيق الأمم المتحدة، على أن الحرب ظاهرة سلبية وشائنة غير مقبولة، ومحرمة دوليا، وأن الحل الوحيد أمام المنتظم الدولي هو السعي من أجل تحقيق السلم والأمن الدوليين. وبالتالي، ينبغي على جميع الدول المنضمة إلى هيئة الأمم

---

136 -Barzin Nader, « La notion de « guerre juste » à l'épreuve des exemples contemporains », ***Topique*** 1/2008 (n° 102), p. 181-191 URL : www.cairn.info/revue-topique-2008-1-page-181.htm. DOI : 10.3917/top.102.0181.

137 -Chomsky, Noam, ***Le Grand Soir Info***, « L'Irak n'est qu'un test », 6 avril 2003.

138 -Noam Chomsky : **pouvoir et terreur**. Entretiens après le 11 septembre (Distorted Morality — America's War On Terror?, Power and Terror: Noam Chomsky in Our Times) de John Junkerman (diffusé au Japon sous le titre Chomsky 9.11).٢٠٠٣

المتحدة أن تحل جميع مشاكلها السياسية والعسكرية والترابية بالطرائق السلمية والدبلوماسية والتفاوضية، كما ينص على ذلك الفصل السادس لميثاق الأمم المتحدة:

" المادة ٣٣

❶يجب على أطراف أي نزاع من شأن استمراره أن يعرض حفظ السلم والأمن الدولي للخطر أن يلتمسوا حله بادئ ذي بدء بطريق المفاوضة والتحقيق والوساطة والتوفيق والتحكيم والتسوية القضائية، أو أن يلجأوا إلى الوكالات والتنظيمات الإقليمية أو غيرها من الوسائل السلمية التي يقع عليها اختيارها.

❷ويدعو مجلس الأمن أطراف النزاع إلى أن يسووا ما بينهم من النزاع بتلك الطرق إذا رأى ضرورة ذلك.

المادة ٣٤

لمجلس الأمن أن يفحص أي نزاع أو أي موقف قد يؤدي إلى احتكاك دولي أو قد يثير نزاعا لكي يقرر ما إذا كان استمرار هذا النزاع أو الموقف من شأنه أن يعرض للخطر حفظ السلم والأمن الدولي.

المادة ٣٥

❶لكل عضو من "الأمم المتحدة" أن ينبه مجلس الأمن أو الجمعية العامة إلى أي نزاع أو موقف من النوع المشار إليه في المادة الرابعة والثلاثين.

❷لكل دولة ليست عضواً في "الأمم المتحدة" أن تنبه مجلس الأمن أو الجمعية العامة إلى أي نزاع تكون طرفا فيه إذا كانت تقبل مقدماً في خصوص هذا النزاع التزامات الحل السلمي المنصوص عليها في هذا الميثاق.

❸تجرى أحكام المادتين ١١ و١٢ على الطريقة التي تعالج بها الجمعية العامة المسائل التي تنبه إليها وفقا لهذه المادة.

المادة ٣٦

❶لمجلس الأمن في أية مرحلة من مراحل نزاع من النوع المشار إليه في المادة ٣٣ أو موقف شبيه به أن يوصي بما يراه ملائماً من الإجراءات وطرق التسوية.

❷على مجلس الأمن أن يراعي ما اتخذه المتنازعون من إجراءات سابقة لحل النزاع القائم بينهم.

❸على مجلس الأمن وهو يقدم توصياته وفقا لهذه المادة أن يراعي أيضاً أن المنازعات القانونية يجب على أطراف النزاع - بصفة عامة - أن يعرضوها على محكمة العدل الدولية وفقاً لأحكام النظام الأساسي لهذه المحكمة.

المادة ٣٧

❶إذا أخفقت الدول التي يقوم بينها نزاع من النوع المشار إليه في المادة ٣٣ في حله بالوسائل المبينة في تلك المادة وجب عليها أن تعرضه على مجلس الأمن.

❷إذا رأى مجلس الأمن أن استمرار هذا النزاع من شأنه في الواقع، أن يعرض للخطر حفظ السلم والأمن الدولي قرر ما إذا كان يقوم بعمل وفقاً للمادة ٣٦ أو يوصي بما يراه ملائماً من شروط حل النزاع.

المادة ٣٨

لمجلس الأمن - إذا طلب إليه جميع المتنازعين ذلك - أن يقدم إليهم توصياته بقصد حل النزاع حلاً سلمياً، وذلك بدون إخلال بأحكام المواد من ٣٣ إلى ٣٧[١٣٩]."

ومن هنا، فهدف هيئة الأمم المتحدة هو منع الحروب بين الدول الأعضاء، بجميع السبل الممكنة تحقيقا للسلم العالمي، وحفاظا على الأمن الدولي، كما يبدو ذلك واضحا في الفصل الأول من ميثاق الأم المتحدة، والمتعلق بمجموعة من مقاصد المنتظم الدولي وأهدافه:

" ❶حفظ السلم والأمن الدولي، وتحقيقاً لهذه الغاية تتخذ الهيئة التدابير المشتركة الفعّالة لمنع الأسباب التي تهدد السلم ولإزالتها، وتقمع أعمال العدوان وغيرها من وجوه الإخلال بالسلم، وتتذرّع بالوسائل السلمية، وفقاً لمبادئ العدل والقانون الدولي، لحل المنازعات الدولية التي قد تؤدي إلى الإخلال بالسلم أو لتسويتها.

❷إنماء العلاقات الودية بين الأمم على أساس احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب، وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها، وكذلك اتخاذ التدابير الأخرى الملائمة لتعزيز السلم العام.

❸تحقيق التعاون الدولي على حل المسائل الدولية ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية، وعلى تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعاً، والتشجيع على ذلك إطلاقاً بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين ولا تفريق بين الرجال والنساء.

❹جعل هذه الهيئة مرجعاً لتنسيق أعمال الأمم وتوجيهها نحو إدراك هذه الغايات المشتركة."

---

[١٣٩] - وقّع ميثاق الأمم المتحدة في ٢٦ حزيران/يونيه ١٩٤٥ في سان فرانسيسكو في ختام مؤتمر الأمم المتحدة الخاص بنظام الهيئة الدولية وأصبح نافذاً في ٢٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٤٥. ويعتبر النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية جزءاً متمماً للميثاق.

بيد أن الدول المعاصرة لا تتقيد بقواعد الحرب العادلة، ولا تلتزم بمواثيق الأمم المتحدة، وخاصة الدول المتغطرسة كالولايات المتحدة الأمريكية، وروسيا، وإسرائيل، و كل الدول الحليفة لهذه الأقطاب الكبرى. وأكثر من هذا فقد ظهرت أنظمة سياسية مشرقية مستبدة غرضها إرهاب الآخرين كإيران، وكوريا الشمالية، والحكومة السورية في عهد بشار الأسد التي استعملت جميع الأسلحة المحرمة دوليا لسفك دماء الشعب السوري، بدعوى محاربة الإرهاب.

أما الإسلام، باعتباره منظومة أخلاقية ودينية وسلوكيات عملية، فقد أثبت، بكل جدارة واستحقاق، أنه دين الحرب العادلة بامتياز، وأنه دين السلم والسلام والإنسانية، ولم تكن حروبه الجهادية لسفك الدماء، أو من أجل الاعتداء على الآخرين، أو اغتصاب ممتلكاتهم، ونهب ثرواتهم، كما تفعل الأنظمة الغربية المتغطرسة، بل كانت تلك الحروب دفاعية من جهة، ووقائية من جهة ثانية، ولنشر الإسلام من جهة ثالثة.

ولا يفهم من الجهاد القتل والحرب وزهق الأرواح بدون وجه حق شرعي، بل جاء الإسلام لتكريم الإنسان واستخلافه في الأرض، والسمو به عقليا ووجدانيا وحركيا وأخلاقيا مصداقا لقوله تعالى:"و لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (٧٠) يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَـئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً (٧١) وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً (٧٢).[١٤٠]"

فالإسلام هو دين الإنسانية، ولم تكن حروبه العادلة سوى ضرورة لنشر الإسلام، وإقناع الناس بالدين الجديد، ودرء الفتن الصاخبة، ومحاربة الوثنية والجهل والفساد، والرقي بالإنسان نحو التمدن والتحضر.

---

[١٤٠] - سورة الإسراء، الآيات٧٠-٧١-٧٢، **القرآن الكريم**، برواية ورش عن نافع.

أما فيما يتعلق بتطرف الجماعات الإسلامية أو شبه الإسلامية وإرهابها، فالإسلام بريء منها براءة يوسف من دم الذئب. فالإسلام لايقتل المدنيين، ولا يحاربهم، ولا يسفك دماءهم، بل هو دين العمران والبناء، وليس دين الهدم والخراب.

ومن جهة أخرى، فقد بالغ بعض فقهاء الجهاد، من علمائنا المسلمين، في تقديم صورة مشوهة عن الإسلام، عن وعي أو غير وعي، على أساس أنه دين السيف والحرب والقتل، ولم يؤولوا آيات القتال والحرب والجهاد تأويلا مقاصديا عميقا ، يراعي المقاصد العامة للشريعة الإسلامية التي تتمثل في خدمة الإنسانية، وتهذيبها أخلاقيا ودينيا وروحيا، والحفاظ على الكليات الخمس: الدين، والحياة، والعقل، والنفس، والمال. ونضيف إليها كلية أخرى تتمثل في الحفاظ على البيئة.

وهناك من يتهم الإسلام بالعدوانية القتالية، وميله الدائم نحو سفك الدماء على عكس المسيحية، فهي دين السلام والمحبة والصفح. وفي هذا، يقول صموئيل هنتنغتون(Samuel Phillips Huntington) (١٩٢٧-٢٠٠٨م)، في كتابه (**صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي**):" الإسلام منذ البداية كان دين السيف، والإسلام انتشر بالسيف ويثمن ويعظم القيم والفضائل العسكرية.الإسلام نشأ وظهر بين قبائل البدو الرحل المتقاتلين.وهذا الأصل العنيف طبع في تأسيس الإسلام،محمد رسول الله (صلعم) نفسه يذكر ويشار له كمقاتل صعب وقائد عسكري ماهر. (لا أحد يقول هذا حول المسيح أو بوذا).

العقيدة الإسلامية تطرح الحرب ضد غير المعتقدين، وعندما يتوقف التوسع الإسلامي، الجماعات الإسلامية مخالفة للعقيدة يتقاتلون فيما بينهم.معدل الفتنة أو الصراعات الداخلية بالنسبة للجهاد تحولت دراماتيكيا

لصالح الأول. القرآن والأحاديث لا يحتويان إلا على قليل من الحظر على العنف ومفهوم اللاعنف غائب من العقيدة والممارسة عند المسلمين.[١٤١]"

والشيء نفسه يذهب إليه جون كيسلي(John Kelsay) الذي درس الحرب العادلة في ضوء فقه القتال أو فقه الحرب والجهاد، دون أن يستحضر الكتابات الفلسفية الإسلامية التي نظرت إلى الحرب العادلة في الإسلام من منطلقات فلسفية إنسانية وأخلاقية .وفي هذا، يقول الباحث المغربي محمد الشيخ:"والغريب أن النظر في أمر "الحرب العادلة" كان من بين ما أذكاه ما صار ينسب إلى بعض الجماعات الإسلامية المتشددة المعاصرة من أفعال إرهابية شكلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر وجهها الأشد قسوة وتراجيدية. لهذا استحث هذا الأمر بعض الباحثين لإعمال النظر وإعادته في تصور الإسلام والمسلمين للحرب، وذلك بعد أن كانوا يعيشون ـ على الأغلب- على التصور القديم وريث الحروب الصليبية وما قبلها ـ أعني "الجهاد" أو ما عبروا عنه باسم "الحرب المقدسة". لكن هذا الاستحثاث لا يخلو من مفارقات يعسر تبريرها أحيانا : أولا؛ أنه نظر مركز على تصور الإسلاميين المتشددين بالأحرى للحروب. ولهذا بعض ما يبرره في أن هؤلاء هم ـ مع الأسف ـ من صار يخلق "الحدث" على المستوى العالمي، مع ما نعرفه اليوم من تعلق بالحدث حد العبادة. والحال أنه حين يحاول بعض المفكرين الغربيين تلوين هذه الصورة القاتمة فإنهم يستحضرون التصورات الفقهية القديمة التي كان مدارها على ما يمكن أن نسميه "لاهوت الحرب"، أي النظر في مسألة شرعية الحرب من جهة النظر الدينية المحضة، وما يمكن أن ندعوه "آداب الحرب" أو "إتيقا الحرب"، أي أخلاقيات الحرب. وخير ما يمكن أن نمثل به لهذا الموقف كتاب الباحث الأمريكي في الأخلاقيات الدينية جون كيلسيJohn Kelsay ـ "مسألة الحرب العادلة في الإسلام" ـ حيث

[١٤١] ـ صموئيل هنتنغتون: **صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالم ،** ص:٤٤٩-٤٥٠.

يستحضر التقليد العربي الإسلامي القديم في "الجهاد"، ويهمل التقليد الفلسفي في النظر إلى أمر الحرب."[١٤٢]

إذا، يقترن الإسلام، عند الباحثين الغربيين المتحاملين على ديننا الحنيف، بالقتل والعنف والإرهاب والتطرف والعدوان؛ ومما زاد الطين بلة ظهور مجموعة من الحركات المحسوبة على الإسلام ، وهي لاتمت بصلة إلى الإسلام، ترتكب أروع المجازر في حق الإنسانية، وتعيث في الأرض فسادا، وتعبث فيها خرابا. في حين، حرم الإسلام سفك دماء الإنسان تحريما مطلقا، واعتبره ظلما كبيرا، وعملا فظيعا، وحرم ذلك على المسلمين أينما حلوا وارتحلوا.فقد قال رسول الله (صلعم): "يا أيها الناس، أيُّ يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام. قال :فأيُّ بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام .قال: فأيُّ شهر هذا؟ قالوا: شهرٌ حرام. قال :فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، فأعادها مراراً ثم رفع رأسه فقال :اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما: فوالذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته ـ، فليبلغ الشاهدُ الغائب، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض[١٤٣]."

أما الجهاد في الإسلام ، فيعني مجاهدة النفس، والصبر على تحمل الأذى. وبالتالي، فالإسلام دين السلام، على الرغم من كثرة آيات القتال؛ لأن العبرة بمقاصد الدين الكبرى التي تتمثل في حماية الدين من جهة، والحفاظ

---

[١٤٢] ـ محمد الشيخ: نفسه، المرجع المذكور سابقا.

[١٤٣] ـ هو قطعة من حديث جابر الطويل فى حجة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرناه بطوله تحت الحديث (١٠١٧) فقرة (١٠٣) لكن ليس فيه لفظ " وأعراضكم " ، وإنما ورد هذا من حديث أبى بكرة الثقفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس فقال: " ألا تدرون أى يوم هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، فقال: أليس بيوم النحر؟ قلنا: بلى يا رسول الله , قال: فإن دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم ، وأبشاركم ، عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، ألا هل بلغت؟ قلنا: نعم ، قال: اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب ، فإنه رب مبلغ يبلغه من هو أوعى له ، فكان كذلك ، قال: لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض." أخرجه البخارى (٢٨/١ ، ٣٧٠/٤ ، ٤٦٧) ومسلم (١٠٨/٥) وأحمد (٣٧/٥ ، ٣٩ ، ٤٠).

على حياة الإنسان وعقله وعرضه وماله. بمعنى أن الإسلام هو دين يدافع عن حريات الإنسان وحقوقه الخاصة والعامة. وأكثر من هذا تعطى الأولوية دائما للسلم والسلام على الحرب. وبذلك، فالإسلام دين يمقت الحرب، ولا يعتبرها سوى ضرورة قصوى، عندما يكون هناك ظلم غاشم، أو عدوان غادر، أو تهجير للناس عنوة من ديارهم، أو منعهم عن عقيدتهم تعسفا وقهرا وتعذيبا. ولو كان الإسلام دين قتال وحرب وعنف لكانت أغراضه دنيوية مادية، كما هو حال الأنظمة الدولية الغربية المعاصرة، فقد نشر المسلمون الإسلام في ربوع العالم، دون أن يغتصبوا النساء، أو ينهبوا خيرات البلاد، أو يعيثوا فسادا، بل نشروا الرسالة السمحة، وأقاموا العدالة في الأرض، ونشروا العلم والثقافة، ونوروا الشعوب التي كانت تعيش في الجهل والتخلف والوثنية، ووقفوا في وجه الظلم وجبابرة الأرض، فقضوا على ممالك الفرس والروم بسماحة الإسلام وعدالته . وليس بالترهيب والتخويف كما قال إدوارد سعيد في كتابه (الاستشراق):" بيد أنه، فيما يخص الإسلام، **كان الشعور بالخوف** - إن لم يكن دائما بالاحترام – الذي أحسته أوروبا، طبيعيا ومسوغا. فبعد وفاة محمد عام ٦٣٢م، تنامت سيطرة الإسلام العسكرية في البدء، ثم الثقافية والدينية، تناميا هائلا. وسقطت فارس، وسوريا ومصر أولا، ثم تركيا، ثم شمال إفريقيا، في أيدي الجيوش الإسلامية. وفي القرنين الثامن والتاسع فتحت إسبانيا، وصقلية، وأجزاء من فرنسا. وبمجيء القرنين الثالث عشر والرابع عشر كان حكم الإسلام قد توغل شرقا حتى الهند، وأندونيسيا، والصين. وفي مواجهة هذا الاجتياح الفائق لم يكن بوسع أوروبا أن تقدم استجابة سوى الخوف والشعور بالرهبة."[١٤٤].

والشيء نفسه يشير إليه صمويل هنتنغتون بقوله:"كل العلماء الكبار يعترفون بوجود حضارة إسلامية متميزة. ولدى بروزها في شبه الجزيرة

---

[١٤٤]- إدوارد سعيد، **الاستشراق**، ترجمة كمال أبوديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ٢٠٠٥م، ص:٨٩.

العربية في القرن السابع الميلادي، انتشر الإسلام بسرعة عبر شمال أفريقيا وشبه الجزيرة الأيبيرية وكذلك شرقا إلى وسط آسيا، وشبه القارة الهندية وجنوب شرقي آسيا. وكنتيجة لذلك، توجد ثقافات عديدة متميزة أو فروع حضارية داخل الإسلام، بما في ذلك العرب والأتراك والفرس والملويين"[١٤٥].

وما يلاحظ على أقوال هذين الباحثين أن الإسلام تغلغل في أوروبا وباقي مناطق العالم بالقوة والترهيب.وهذا ليس صحيحا، فلو دخل بتلك الطريقة العنيفة لما ظل الإسلام في تلك المناطق حتى الآن.في حين، وجدنا المسيحية تتضاءل من سنة إلى أخرى حتى في عقر دارها. ويعني هذا أن الإسلام لم يكن همه هو التوسع أو التغلغل في البلدان، بل كان هدفه هو التغلغل في القلوب، وقد نجح في ذلك، فقد انتشر الإسلام في آسيا وأفريقيا وأوروبا الشرقية، وقد اعتنقه كثير من الأمريكيين والأوروبيين الغربيين أنفسهم.

وعليه، إذا كان الإسلام هو دين السلام والفضيلة والأخلاق الكونية المثلى، ودين الحروب العادلة من أجل إحقاق الحق، وإبطال الباطل، فإن حروب الأنظمة السياسية المعاصرة هي حروب القوة والعنف والغطرسة والهيمنة، فالقوي هو الذي يفرض قوته على العالم، ويشرع القرارات، ويصدر الأحكام، ويحاسب الدول الضعيفة والآمنة. وقد لاحظنا ذلك مع الولايات المتحدة الأمريكية التي تضرب مواثيق الأمم المتحدة عرض الحائط، بغزوها للعراق وأفغانستان، وضربها لليبيا...وتقف في وجه الفلسطينيين دائما بقوة الفيتو الذي توظفه بغير وجه حق لمناصرة إسرائيل.

وليست هيئة الأمم المتحدة هيئة سلم وسلام كما يبدو لنا ذلك من خلال أدبياتها ومواثيقها وتشريعاتها، بل هي مؤسسة خاضعة لقوة الدول الخمس

---

[١٤٥]- صموئيل هنتنغتون، صدام **الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي**، ص:١١١.

الكبرى الموجودة في مجلس الأمن. والدليل على ذلك هجوم الولايات المتحدة الأمريكية على العراق، بدون استشارة الأمم المتحدة، وبتحالف كبير مع بريطانيا وفرنسا، ومساندة بعض الدول الأفريقية والآسيوية والأمريكية اللاتينية. وفي هذا، يقول المهدي المنجرة:"مما يعني أن التحالف ليس دوليا كما يحمل من غطاء وما يشجع على استنتاج ذلك هو استطلاع آراء الرأي العام بعدد من الدول التي تدخل ضمن هذا التحالف والتي أبرزت معارضتها لهذه الحرب، لأن إقرار السلم هو الاتجاه العالمي الممكن لتضامن البشرية ولبقاء النوع البشري.

إن الدعوة للسلام المبنية على احترام ميثاق الأمم المتحدة ضرورة أخلاقية وقانونية، ولعل مرجعيتها في الماضي، وبوجه خاص خلال الحرب العالمية الثانية لايمكنها أن تتخلى عنها لا في الزمان ولا في المكان؛ لأن الإنسانية كانت حينها قادرة على تدمير نفسها.

إن بناء نظام عالمي جديد يمر باحترام القواعد القانونية العالمية المثبتة في ميثاق الأمم المتحدة.وقد أصبح من المستعجل العمل على احترامها إذا ما كنا نطمح لسلام دائم."[١٤٦]

ولم تقتصر الحروب المعاصرة على الحروب العسكرية والسياسية فحسب، بل امتدت لتشمل الحروب الاقتصادية والثقافية والحضارية والإعلامية.وفي هذا، يقول صموئيل هنتغتون:" إن "نهاية الحرب الباردة لم تنه الصراع ولكن على العكس ساعدت على بروز هويات جديدة متجذرة في الثقافة ونماذج جديدة من الصراع فيما بين الجماعات من ثقافات مختلفة والتي عند أوسع مستوى لها هي الحضارات"[١٤٧].

ومن ثم، فقد تحولت حروب العالم، أو حروب النظام الدولي الجديد، إلى حروب الفوضى الخلاقة - بمفهوم كوندوليزا رايس- من أجل إعادة بناء

---

[١٤٦] - المهدي المنجرة: **الحرب الحضارية الأولى**، ص:٨١.
[١٤٧]صموئيل هنتنغتون، نفسه، ص:٢٤٦.

نظام عالمي جديد ليبرالي وديمقراطي، وفق أسس سياسية جديدة، وبهوية جديدة ، ينعدم فيها العنف والإرهاب والتطرف. لكن هذه الفوضى لم تخلق لنا سوى الخراب والدمار والهلاك، وتمزيق رقعة الوطن العربي إلى دويلات ضعيفة ومشتتة عبارة عن أنقاض من الدمار،مع إشعال فتيل الفتنة الطائفية بين السنة والشيعة في إيران، والعراق، والبحرين، واليمن، ولبنان، وسوريا، والمملكة العربية السعودية، والكويت، والإمارات العربية المتحدة، وفي باقي مناطق الوطن العربي.

ومن هنا، لم يعد للحرب العادلة وجود في سجلات الأمم المتحدة، أو في أجندات مجلس الأمن، ولم يبق سوى المنظور الواقعي "الهوبزي" و"المكيافيلي" الذي يتحكم في قرارات الدول القوية المتغطرسة التي استطاعت أن تفرض هيمنتها وقوتها وسيطرتها على العالم، باسم حق القوة، وليس بقوة الحق.

أما الإسلام ، باعتباره نصا وسلوكا، فسيظل الدين الأوحد الذي يتغنى بالسلم والسلام، مادام هدفه هو تنوير الإنسانية، وإخراجها من براثن الجهل والوثنية والشرك إلى نور الهداية والنجاة والبناء والرقي الحضاري والديني.

الخاتمـــــة

وخلاصة القول، يتضح لنا، مما سبق ذكره، أن الحرب العادلة هي تلك الحرب التي تحتكم إلى المسطرة الأخلاقية والدينية، وتستعين بالمشيئة الربانية، ويكون سببها عادلا وشرعيا، وقضيتها عادلة، وهدفها عادلا ، ووسائلها مشروعة، ونتائجها مقدرة بشكل جيد كما وكيفا وهدفا وخطة وتدبيرا وتقويما، وفق المقولة الفقهية الشرعية الإسلامية: لا ضرر ولا ضرار.

ومن ثم، فالحرب العادلة هي ضرورة قصوى واستثناء ليس إلا. ويراد بها الدفاع عن النفس، ورد الظلم الغاشم، وصد العدوان، ومنع تهجير المدنيين والأبرياء من ديارهم بغير وجه حق، أو التدخل في دولة ما من أجل إنقاذ رعاياها المظلومين، أو الحد من جبروت الطغاة، أو من أجل نشر الدعوة الإسلامية على خير وجه.

ومن جهة أخرى، لا يمكن الحديث عن حرب عادلة إلا بعد استنفاذ جميع قنوات الحوار والتواصل والتفاوض، وبعد فشل كل مساعي السلم والسلام، وغلق جميع القنوات السلمية والدبلوماسية. ومن ثم، فالحرب آخر قرار سياسي، أو هو أسوأ قرار يتخذ. ومن ثم، تراعي نظرية الحرب العادلة كل مراحل الحرب من البداية حتى النهاية، بتخليق مختلف المراحل حتى يتحقق الوفاق والوئام والسلام العادل.

هذا، وتنبني الحرب العادلة على مجموعة من القواعد الشرعية الضابطة، كوجود سلطة شرعية، وسبب عادل، وقضية عادلة، وهدف عادل، واستخدام الوسائل الحربية المشروعة، بأن يكون مستوى العنف ودرجته متناسبا مع طبيعة الحرب، مع التمييز بين المدنيين و العسكريين، وأن تكون الأولوية دائما للسلام قبل الحرب، وأن تكون المفاوضات بعد

الحرب من أجل تحقيق السلام، بتعويض المتضرر، وجبر الضرر، وتجديد البنية التحتية المدمرة، والاحتكام إلى مؤسسات قضائية دولية عليا.

ومن المعلوم أن الحرب العادلة، في مسارها التاريخي والدولي، قد انتقلت من مفهومها الأخلاقي والديني والمثالي والفلسفي إلى المفهوم القضائي والقانوني. وبعد ذلك، انتقلت الحرب العادلة مما هو محلي وجهوي ووطني إلى ماهو عالمي وكوني ، وفق القانون الدولي مع كروسيوس، ووفق السلام الكوني مع كانط، أو وفق الأخلاقيات التواصلية الكبرى مع هابرماس.

ومن ناحية أخرى، يمكن الحديث عن مجموعة من النظريات التي تناولت الحرب العادلة، كالنظرية الواقعية، والنظرية الأخلاقية، والنظرية السلمية، والنظرية النقدية. بل يمكن الحديث أيضا عن مجموعة من التصورات التي ركزت على الحرب العادلة نظرية ورؤية وتوجيها، مثل: تصورات كل من القديس أوغسطينيوس، والقديس توما الأكويني، ومدرسة سالامانكا، مرورا بتصورات هوبز وميكيافيلي، وكانط، وهابرماس، ووصولا إلى تصورات مايكل وولز، وبيان المثقفين الأمريكيين ، وبيان المثقفين السعوديين.

وفي الأخير، فإن الإسلام هو دين السلم والسلام والحرب العادلة مقارنة بالأديان السماوية الأخرى، أو مقارنة بالأنظمة الدولية الغربية المعاصرة التي استعملت الحروب للابتزاز والعدوان والاستغلال والهيمنة والسيطرة على ثروات العالم، بدون أساس قانوني، أو مستند شرعي.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية ورش لنافع.

إنجيل متى، طبع دار السلام سنة ١٩٦١م.

المصـــادر:

١-القديس أوغسطين: **مدينة الله**، المجلد الأول، ترجمة: الخورأسقف يوحنا الحلو،سلسلة التراث الروحي، دار المشرق، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م.

المراجع باللغة العربية:

٢- ابن رشد: **الضروري في السياسة** (مختصر كتاب السياسة لأفلاطون)، نقله عن العبرية أحمد شحلان، سلسلة التراث الفلسفي العربي، مؤلفات ابن رشد (٤)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٢م.

٣- أرسطو: **السياسة**، ترجمة: أحمد لطفي السيد، مختارات الإذاعة والتلفزيون، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

٤- أرسطو: **السياسيات**، ترجمة: الأب أوغيسطينس بربارة البولسي، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية (الأونَسكو)، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٧م.

٥- إدوارد سعيد، **الاستشراق**، ترجمة كمال أبوديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ٢٠٠٥م.

٦- أفلاطون: **جمهورية أفلاطون**، ترجمة: فؤاد زكريا، فضاء الفن والثقافة، د.ت.

٧- جون كيسلي: **مسألة الحرب العادلة في الإسلام**، ترجمة رلى ذبيان، ومراجعة رضوان السيد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩م.

٨- ديفيد فيشر: **أخلاقيات الحرب**، ترجمة:عماد عواد، العدد: ٤١٤، عالم المعرفة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، يوليو ٢٠١٤م.

٩- صموئيل هنتنغتون: **صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي**، ترجمة: مالك عبيد أبو شهيوة ومحمود محمد خلف، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ليبيا، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩م،

١٠- الفارابي: **كتاب تحصيل السعادة**، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

١١- فرانسيس فوكوياما: **نهاية التاريخ والإنسان الأخير**، ترجمة: فؤاد شاهين، وجميل قاسم، ورضا الشايبي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، طبعة ١٩٩٣م.

١٢- محمود شريف بسيوني: **الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان**، المجلد الثاني، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣م.

١٣- المهدي المنجرة: **الحرب الحضارية الأولى**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثامنة ٢٠٠٥م.

١٤- نصار عبد الله: **مدخل إلى نظرية الحرب العادلة**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م.

١٥- نوام شومسكي: **السلطان الخطير: السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط**، ترجمة: جلبير الأشقر، دار الساقي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١١م.

المراجع الأجنبية:

١٦-**A**mbroise de **M**ilan: **De officiis ministrorum**, en 3 livres, ouvrage d'éthique chrétienne (allusion au *De officiis* de Cicéron).
١٧-**A**ristote, **Politiques**, VII, 14, Paris, Flammarion, 1990, coll. "GF".
١٨-**B**arzin **N**ader, « La notion de « guerre juste » à l'épreuve des exemples contemporains », ***Topique*** 1/2008 (n° 102), p. 181-191 URL:www.cairn.info/revue-topique-2008-1-page-181.htm.

١٩-**B**ertrand **L**emennicier :(LA NOTION DE GUERRE JUSTE), REVUE ET CORRIGÉE PAR LE LIBÉRALISME, **Le quebecoislibre**, Montréal, 12 avril 2003 / No 123.

http://www.quebecoislibre.org/030412-16.htm

٢٠-**B**rian **O**rend, **The Morality of War**, Peterborough, Broadview Press, 2006.
٢١-**B**runo **T**ertrais ***:*** **La Guerre sans fin. L'Amérique dans l'engrenage,** Paris, Seuil, 2004.
٢٢-**B**runstetter **D**aniel R., Holeindre Jean-Vincent, « La guerre juste au prisme de la théorie politique », ***Raisons politiques*** 1/2012 (n° 45).

٢٣-**C**harles **B**enjamin :**La théorie de la guerre juste face au terrorisme et à la lutte antiterroriste** .Centre

d’études des politiques étrangères et de sécurité Université du Québec à Montréal / Concordia University Série Mémoires 6 Décembre 2007.

٢٤-**C**homsky, Noam, ***Le Grand Soir Info***, « L’Irak n’est qu’un test », 6 avril 2003.

٢٥-**C**hristian **M**ELLON, « Que dire de la "guerre juste" aujourd'hui ?», **Actualiser la morale**, Cerf, Paris, 1992.

٢٦-**C**hristian **N**adeau et Julie Saada, ***Guerre juste, guerre injuste. Histoire, théories et critiques***, Paris, PUF, 2009.

٢٧-**C**ung,Ryoa.**Kant et la notion de guerre juste,** Montréal, Université de Montréal, 1996.

٢٨-**D**ouglas **L**ackey, **The Ethics of War and Peace**, Englewood cliffs, prentice-Hall, 1989.

٢٩-**E**mer de **V**attel **:Le Droit des gens : Principes de la loi naturelle, appliqués à la conduite et aux affaires des Nations et des Souverain***s*, vol. 1, Londres [Neuchâtel], 1758.

٣٠-**E**mmanuel **K**ant**, Critique de la raison pratique**, théorème III, GF Flammarion, 2003.

٤٠-**E**mmanuel **L**evinas, ***Totalité et infini. Essai sur l'extériorité***, Paris, Le Livre de Poche, coll. « Biblio Essais », 2000 [1re éd. 1971].

٤١-**E**mmanuelle **J**ouannet, **Emer de Vattel et l'émergence du droit international classique,** Pedone, 490 p, 1998.

٤٢-**F**rancisco de Vitoria .**De Jure belli Hispanorum in barbaros**, 1532.

٤٣-**F**rank **B**OURGEOIS : (La théorie de la guerre juste : un héritage chrétien ?), **ETUDES THÉOLOGIQUES & RELIGIEUSES**.TOME 81 2006/4.

٤٤-**F**riedrich **W**ilhelm **N**ietzsche :**Ainsi parla Zarathustra** (fragments), de W. P. (nom inconnu), in *La société nouvelle*, année 8, Paris, Bruxelles, 1892, T. 1.

٤٥-**G**ratien, *Decretum*, C. 23, II, *iii*.

٤٦-**G**regory **M**. **R**eichberg *et al.*, **The Ethics of War : Classic and Contemporary Readings**, Oxford, Blackwell Publishers, 2006.

٤٧-**G**ROTIUS H., **Le droit de la guerre et de la paix**, trad. de P.Pradier-Fodéré, édité par D. Alland et S. Goyard-Fabre, Paris, PUF, 1999.

٤٨-**H**abermas J., « La Paix perpétuelle. Le bicentenaire d'une idée kantienne » (1995) in **L'intégration républicaine**, Fayard, Paris, 1998, trad. R. Rochlitz, III.

49 -Habermas J., « D'une politique de la puissance à la société cosmopolitique » (1999) in **De l'usage public des idées,** Paris, Fayard, 2005, trad. C.-Bouchindhomme.

50- Habermas J., « Que signifie la destruction de la statue (de Saddam Hussein) ? » (17 avril 2003) in **Une**

époque de transitions – **Écrits politiques** 1998-2003, Paris, Fayard, 2005, trad. C. Bouchindhomme.

51-Habermas .J**: Morale et communication** *: conscience morale et activité communicationnelle*, titre original : *Moralbewusstsein und Kommunikatives Handeln* (1983).

-52Haggenmacher P., **Grotius et la doctrine de la guerre juste,** PUF, Paris 1983.

53-Hans **M**orgenthau, **Politics Among Nations**, New York, McGraw-Hill, 1993.

54-Hans **M**orgenthau, **Politics Among Nations**, New York, McGraw-Hill, 1993.

55- Hegel : **Principes de la philosophie du droit,** trad. André Kaan, Gallimard, 1940.

56-Hugo **G**rotius, **Le droit de la guerre et de la paix**, Paris, puf, 2005.

57-James **T**urner **J**ohnson, **The War to Oust Saddam Hussein : Just War in the Face of New Conflict,** Lanham, Rowman and Littlefield Publishers, 2005.

58- Jean **B**odin**: Les Six Livres de la République** (en 6 livres, Paris, 1576.

59-Jenny **T**eichman, **Pacifism and the Just War**, A Study in Applied Philosophy. Oxford : Basil Blackwell, 1986.

60-John **H**oward YODER, *When War is Unjust : Being Honest in Just-War Thinking*, Minneapolis, Augsburg Publishing House, 1984, 1995 (2e éd. revue).
61-John **K**elsay, **Arguing the Just War in Islam** (Harvard University Press, 2007).
62-John **T**urner **J**ohnson, **Morality and Contemporary Warfare**, New Haven, Yale University Press, 1999.

63-Joseph **N**ye, **Nuclear Ethics**, New York, Free Press, 1986.

٦٤-KANT E., **Métaphysique des mœurs, II, Doctrine du droit – Doctrine de la vertu,** Paris, Flammarion, 1994, trad. A. Renaut.

٦٥-Kant **E**., **Projet de paix perpétuelle**, trad. anomyme revue et annotée par H. Wismann in Œuvres philosophiques, dir. F. Alquié, Paris, Gallimard, 1985.
66-MARZANO M., **L'éthique appliquée**, Paris, PUF, Que sais-je ?, 2008, chapitre V : Droits de l'homme et guerre juste.

67-Max **W**eber**, Le Savant et le politique** (1919), préface de Raymond Aron et traduction par Julien Freund, Plon, 1959.
68-Max **W**eber: **Le savant et le politique**, Plon 10/18, 1979.
69-Michael **H**oward, George Andreopoulos et Mark Shulman, **The Laws of War: Constraints on Warfare**

in the Western World, New Haven, Yale University Press, 1994.

70-Michaël **W**alzer, **Guerres justes et injustes,** Belin, 1999.
71-Michael **W**alzer, **Guerres justes et injustes,** Paris, Belin, 1999.

72-Michael **W**alzer, **Morale minimale, morale maximale**, Paris, Bayard, 2004.

73-Michael **W**ALZER. **Guerres justes et injustes**, Paris, Gallimard, 2006.

74-Monique **C**anto-**S**perber, **L'idée de guerre juste**, Paris, Presses Universitaires de France, « Éthique et philosophie morale », 2010.
75-Monique **C**ANTO-**S**PERBER. «La guerre juste, une notion impertinente?», **Esprit**, no 2, février 2005.

76-Nicolas **M**achiavel : **Le Prince,** traduction française de J. Gohory, Collection Folio, Gallimard, Paris, 1980.
77-Nicolas **O**ffenstadt, « Guerres justes et usages du passé », **Cahiers de la Villa Gillet,** « Penser la guerre aujourd'hui », nº 16, 2002.
78-Noam **C**homsky : **pouvoir et terreur**. Entretiens après le 11 septembre (Distorted Morality — America's War On Terror?, Power and Terror: Noam Chomsky in Our Times) de John Junkerman (diffusé au Japon sous le titre Chomsky 9.11)2003.

79-Peter **H**aggenmacher, ***Grotius et la doctrine de la guerre juste***, PUF, 1983.
80-Pierre **H**assner, **Justifier la guerre**, Presses de Sciences Po, 2005.
81-R. **M**etz, « Regard critique sur la personne de Gratien, auteur du *Décret* (1130–1140), d'après les résultats des dernières recherches », **Revue des sciences religieuses**, LVIII (1984).
82-Saint **T**homas d'**A**quin: **Somme Théologique**: La Force Ed. de la Revue des jeunes 1926 .
83-Samuel von **P**ufendorf : **Le Droit de la nature et des gens**, *ou Système général des principes les plus importans de la morale, de la jurisprudence et de la politique* (2 volumes, 1706).
84-St. Thomas D'Aquin : **Somme théologique** (Secunda secundæ : la morale particulière, Question 40 : la guerre).
85-Thomas **H**obbes, **Léviathan**, Gallimard, coll. Folio Essais, 2001.
86-Victor **G**ourevitch, « Introduction », dans *Jean-Jacques Rousseau.* **The Social Contract andother later political writings**, Cambridge, Cambridge University Press, 1997.
87-Walzer M., « Le — dangereux ? — triomphe de la « guerre juste » » (2002) in **:De la guerre et du terrorisme**, Paris, Bayard, 2004, trad. C. Fort.

88-Walzer M., **Guerres justes et injustes** - Argumentation morale avec exemples historiques, Paris, Belin, 1999.

٨٩-**Y**ves **R**oucaute, **La Puissance de la Liberté**, P.U.F., 2004.

90- Yves Roucaute ***Vers la Paix des Civilisations***, Alban, 2008.

91- Yves Roucaute **La Puissance d'Humanité**, François-Xavier de Guibert, 2011, Contemporary Bookstore, 2014.

المقالات الورقية:

٩٢- جين بتكي ألشتاين: (الحرب العادلة وأخلاقيات المسؤولية)، **مجلة التفاهم**، سلطنة عمان، العدد:٤٢، ٢٠١٣م.

٩٣- سمير بلكفيف: (هابرماس والإرث الكانطي من إيتيقا الأنوار إلى إيتيقا التواصل)، **مجلة الفكر العربي المعاصر**، بيروت، لبنان، العدد٦٩، خريف ٢٠١٥م .

٩٤- محمد الشيخ: (الحرب العادلة في تصور التقليد الفلسفي العربي)، **مجلة التفاهم**، سلطنة عمان، العدد٤٢، ٢٠١٣م.

المقالات الرقمية:

٩٥- حمدي الشريف : (نظرية الحرب العَادِلَة بين اليُوتُوبيا والأيديولوجيا)، **مؤسسة مؤمنون بلا حدود**،١٨أبريل ٢٠١٦م،
http://www.mominoun.com/articles/

٩٦- عبد الحكيم قماز: (من اغتيال لينكولن إلى مجزرة أورلاندو العنف لا ينتهي في بلد" العم سام«)،**موقع الخبر**، بتاريخ:١٦يونيو ٢٠١٦م.
http ://www.elkhabar.com/press/article/107426/#sthash.GlPOQYmh.dpuf.

٩٧- محفوظ بورابة : (الحرب العادلة)،
http://bou4w26-notebook.blogspot.com/2014/05/just-war.html#.V2-m7xLNS9t

٩٨- محمد عصام العروسي: (نظرية العلاقات الدولية)، **الموقع الرسمي للجمعية الفلسطينية لحقوق الإنسان/راصد**، بتاريخ السبت ٢٥يوليو٢٠١٥م،
http://www.pal-monitor.org/news.php?extend.380.34

٩٩- يحيى الشمري : (نظرية الحرب العادلة في القانون الدولي)، ١٥ أبريل ٢٠١٥م.
https://www.linkedin.com/pulse/A-dr-yahya-alshammari

١٠٠- يعقوب يوسف: (نظرية الحرب العادلة / ولادة العنف المسيحي)
http://www.plough.com/ar/topics/justice/nonviolence/just-war-theory-ar.

الوثائـــق والبيانات:

١٠١- المثقفون الأمريكيون: بيان المثقفين الأمريكيين: (على أي أساس نقاتل؟)، **معهد القيم الأمريكية**(Institute for American Values)، فبراير ٢٠٠٢م.

١٠٢- المثقفون السعوديون: (بيان المثقفين السعوديين: على أي أساس نتعايش؟)، **صحيفة اليوم**، ١١ سبتمبر ٢٠٠٢م.

١٠٣- اليونسكو: **وثيقة التسامح اليونسكو**، سنة ١٩٩٥م.

السيرة العلمية:

- جميل حمداوي من مواليد مدينة الناظور (المغرب).

- حاصل على دبلوم الدراسات العليا سنة ١٩٩٦م.

- حاصل على دكتوراه الدولة سنة ٢٠٠١م.

- حاصل على إجازتين:الأولى في الأدب العربي، والثانية في الشريعة والقانون، ويعد إجازتين في الفلسفة وعلم الاجتماع.

- أستاذ التعليم العالي بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بالناظور.

- أستاذ الأدب العربي، ومناهج البحث التربوي، والإحصاء التربوي، وعلوم التربية، والتربية الفنية، والحضارة الأمازيغية، وديدكتيك التعليم الأولي، والحياة المدرسية والتشريع التربوي...

-أديب ومبدع وناقد وباحث، يشتغل ضمن رؤية أكاديمية موسوعية.

- حصل على جائزة مؤسسة المثقف العربي (سيدني/أستراليا) لعام ٢٠١١م في النقد والدراسات الأدبية.

- حصل على جائزة ناجي النعمان الأدبية سنة٢٠١٤م.

- عضو الاتحاد العالمي للجامعات والكليات بهولندا.

- رئيس الرابطة العربية للقصة القصيرة جدا.

- رئيس المهرجان العربي للقصة القصيرة جدا.

- رئيس الهيئة العربية لنقاد القصة القصيرة جدا.

- رئيس الهيئة العربية لنقاد الكتابة الشذرية ومبدعيها.

- رئيس جمعية الجسور للبحث في الثقافة والفنون.

- رئيس مختبر المسرح الأمازيغي.

- عضو الجمعية العربية لنقاد المسرح.

-عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

- عضو اتحاد كتاب العرب.

-عضو اتحاد كتاب الإنترنت العرب.

-عضو اتحاد كتاب المغرب.

- من منظري فن القصة القصيرة جدا وفن الكتابة الشذرية.

- مهتم بالبيداغوجيا والثقافة الأمازيغية.

- ترجمت مقالاته إلى اللغة الفرنسية و اللغة الكردية.

- شارك في مهرجانات عربية عدة في كل من: الجزائر، وتونس، وليبيا، ومصر، والأردن، والسعودية، والبحرين، والعراق، والإمارات العربية المتحدة،وسلطنة عمان...

- مستشار في مجموعة من الصحف والمجلات والجرائد والدوريات الوطنية والعربية.

- نشر أكثر من ألف وثلاثين مقال علمي محكم وغير محكم، وعددا كثيرا من المقالات الإلكترونية. وله أكثر من (124) كتاب ورقي، وأكثر من مائة كتاب إلكتروني منشور في موقعي (المثقف) وموقع (الألوكة)، وموقع (أدب فن).

- يشتغل على عدة مشاريع كبرى: مشروع القصة القصيرة جدا، ومشروع التجديد البيداغوجي، ومشروع الكتابة الشذرية ، ومشروع الصحافة والإعلام، ومشروع الثقافة الأمازيغية، ومشروع المناهج النقدية في فترة مابعد الحداثة، ومشروع المنطق وعالم التخييل الأدبي والفني، والمشروع السيميوطيقي، ومشروع النظريات المسرحية، ومشروع علم الاجتماع السياسي والثقافي، ومشروع التجديد الفقهي وفق المناهج النقدية المعاصرة، ومشروع تاريخ الموريسكيين واليهود في منطقة الريف، ومشروع منطق الجهات، ومشروع العوالم الممكنة، ومشروع نظريات علم النفس، ومشروع التجديد الفلسفي، ومشروع الصورة، ومشروع السينما الأمازيغية، ومشروع الفنون التشكيلية بمنطقة الريف، ومشروع لسانيات الجملة ولسانيات الخطاب، ومشروع الإسلام بين الحداثة وما بعد الحداثة، ومشروعي فقه التعارف وفقه النوازل،...

- ومن أهم كتبه: فقه النوازل، ومفهوم الحقيقة في الفكر الإسلامي، ومحطات العمل الديدكتيكي، وتدبير الحياة المدرسية، وبيداغوجيا الأخطاء، ونحو تقويم تربوي جديد، والشذرات بين النظرية والتطبيق، والقصة القصيرة جدا بين التنظير والتطبيق، والرواية التاريخية، تصورات تربوية جديدة، والإسلام بين الحداثة وما بعد الحداثة، ومجزءات التكوين، ومن سيميوطيقا الذات إلى سيميوطيقا التوتر، والتربية الفنية، ومدخل إلى الأدب السعودي، والإحصاء التربوي، ونظريات النقد الأدبي في مرحلة مابعد الحداثة، ومقومات القصة القصيرة جدا عند جمال الدين الخضيري، وأنواع الممثل في التيارات المسرحية الغربية والعربية، وفي

نظريــة الروايــة: مقاربــات جديــدة، وأنطولوجيــا القصــة القصــيرة جــدا بــالمغرب، والقصــيدة الكونكريتيــة، ومــن أجــل تقنيــة جديــدة لنقــد القصــة القصــيرة جــدا ، والســيميولوجيا بــين النظريــة والتطبيــق، والإخــراج المسرحي، ومدخل إلـى السينوغرافيا المسرحية، والمسرح الأمـازيغي، ومسرح الشباب بـالمغرب، والمدخل إلـى الإخـراج المسرحي، ومسرح الطفـل بـين التـأليف والإخـراج، ومسـرح الأطفـال بـالمغرب، ونصـوص مسرحية، ومدخل إلى السينما المغربية، ومناهج النقد العربي، والجديد فـي التربية والتعليم، وببليوغرافيا أدب الأطفال بـالمغرب، ومدخل إلـى الشعر الإسلامي، والمدارس العتيقة بالمغرب، وأدب الأطفال بـالمغرب، والقصـة القصـيرة جدا بالمغرب،والقصـة القصـيرة جدا عند السعودي علـي حسن البطران، وأعلام الثقافة الأمازيغية...

- عنـــوان الباحـــث: جميـــل حمـــداوي، صـــندوق البريـــد١٧٩٩، الناظور٦٢٠٠٠، المغرب.

- الهاتف النقال:٠٦٧٢٣٥٤٣٣٨

- الهاتف المنزلي:٠٥٣٦٣٣٣٤٨٨

- الإيميل:Hamdaouidocteur@gmail.com

Jamilhamdaoui@yahoo.fr

كلمات الغلاف الخارجي:

يتناول هذا الكتاب موضوعا فلسفيا ودينيا ولاهوتيا وسياسيا، يتعلق بمفهوم الحرب العادلة، أو الحرب الأخلاقية (La guerre juste ou morale)، بل أصبح هذا المفهوم مصطلحا سياسيا أساسيا في أدبيات العلاقات الدولية، و العلوم السياسية المعاصرة، أو مبحثا رئيسا في علم السياسية الخارجية، منذ السبعينيات من القرن الماضي إلى يومنا هذا، وخاصة بعد صدور كتاب(**الحروب العادلة وغير العادلة**) للفيلسوف الأمريكي مايكل وولزر(Michael Walzer) سنة ١٩٧٧م.